اسباب الخوف من الموت عند ابن مسكويه دراسة فلسفية

أ.م.د.علي هادي طاهر(*)

الكلمات المفتاحية :الخوف- الموت- البدن - الروح - الخلود

الملخص

لم يرفض ابن مسكويه مسألة الموت بشكل تامٍ، بل رفض الخوف المبالغ فيه والذي يجلب لصاحبه اضراراً نفسية وجسدية .وحاول أن يعرض ابرز الأسباب التي تُعد أكثر شيوعاً لتبرير الخوف من الموت والتي حصرها بخمسةِ اسبابٍ هي : اعتقاد البعض بأن النفس تفنى وتتحلل بتحلل البدن .وظن البعض بأن للموتِ الم يفوق آلام الامراض .وخوف البعض من الموت بسبب اعتقادهم أن عقوبة ستحل بهم بعد الموت .ومنها حيرة البعض من الموت كمصيرٍ مجهولٍ . وآخرها الأسف والحزن على ما سيتركونه من اموالٍ ومقتنياتٍ دنيويةٍ.

وبيّن مسكويه أن كل تلك الاسباب لاتُعد مسوغاتٍ مقبولةٍ ،ووصفها بالظنون الباطلة، مؤكدا أن تلك المخاوف نتيجة جهل الإنسان لحقيقة الموت، وحقيقة الروح كجوهرٍ خالدٍ، فضلاً عن الجهلِ بالمعادِ والحياة الآخرة، بل والجهلُ برحمةِ اللهِ تعالى .

ودعا إلى ضرورة علاج الجهل بالعلمِ والمعرفةِ، وأكدَ على اهمية المعرفة الفلسفية والشرعية ودورهما في تحرير الإنسان من الخوف من الموت .

المقدمة

الخوف من الموت حالة سايكلوجية يمر بها الإنسان، وهذا الخوف مبرر على كل حال إذ من حقه ككائن عاقل ادرك أن الموت موئله، وإذا كان متديناً فأنه على يقين بأنه سيجازى على ما قدم من اعمال ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) آل عمران /١٨٥. وأن الموت حقيقة وجودية ولا مفر منه ولا

(*) جامعة البصرة- كلية الاداب

مـلاذ ((أَيْنَمَـا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَـوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَـيَّدَةٍ)) النساء / ٧٨.وستمر عليه لحظـات مفارقة الحياة شـاء ام أبـى ((وَجَاءَتْ سَـكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَـا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)) ق/١٩.ولـم تنفعه محاولاته لنسـيان أو تناسـي تلـك الحقيقة الحتمية التـي لا مناص منها .وأنه مجـرد ضيف في هذه الدنيا، ولا يعلم كم اقامته فيها، إذ لا يعرف كم سيكون عمره((وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُـوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) لقمان /٣٤.ولا يعلم بزمان ومكان وفاتـه .وأن له أجل لا يعلمه إلا الله تعالى ((لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)) الرعد ٣٩/٣٨. وأنه لا يستطيع تأخير هذا الأجل مهما بذل من جهود وتوسل بشتى الطرق والوسائل لتحقيق مبتغاه، بل سـيعود خالي الوفاض صفـر اليدين ((فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْـتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ))النحل/٦١.وهو يدرك تماماً أن مسـألة الأجل لا تنطبق على بعـض الأفراد دون البعض، بل تنطبق على كل الأمم ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْـتَأْخِرُونَ سَـاعَةً وَلَا يَسْـتَقْدِمُونَ)) الأعراف/٣٤.

وانطلاقـاً من كل هـذه المقدمـات فالتفكير بالموت والخوف منه أمر ليس بالمرفوض، بل المرفوض هو الاعتـراض عليه وتمني الخلود في هذه الحياة، واللجوء إلى شتى لطائف الحيّل لنسـيانه وتناسـيه وتحول حد الخوف من الحد المعقـول إلـى حد المـرض النفسـي . وبما ان البشر ليسوا على شاكلة واحدة نجدهم يتفاوتون في موضـوع الخوف هذا وينقسـمون إلى عدة اصناف :صنف يخشـاه حد الجـزع خصوصاً الذيـن ينظرون للحيـاة الدنيا على أنها اشـباع للرغبـات والملـذات الماديـة إذ يخشـون تلك اللحظة التي سـيمد شـبح الموت يديه ليختطفهم ويحرمهـم ممـا هـم فيـه، وإذا كانوا مـع ذلك يؤمنـون بأن هناك حياة آخره سيحاسـبون فيها على ما قدموا من اعمال فتراهم يخافون العقاب المنتظـر. و مسـألة الخوف مـن الموت تنطبق أيضـا على الماديين الذين لا يؤمنـون بوجود حياة أخرى، فالمـوت عندهم نهاية للحياة حيث تحلل النفس والجسـد وتحولهمـا إلى ذرات من الرمـاد ’فيخافـون من العـدم، والماديون وان شككوا بوجود حياة أخرى إلا انهم لم يستطيعوا أن يشـككوا بحقيقة المـوت كنهاية حتمية، وانه لابـد أت ؛لذلك يبذلون قصارى الجهود بالبحث عـن الأدويـة والأعشـاب والمراهـم وغيرها للحفاظ على الجسد واعتدال صحته ليبقوا اطول مدة ممكنـة .وهكذا فالعلاقة طرديـة بين زيادة الخوف مـن الموت، وزيـادة التعلق بالرغبات واللذات المادية .

ومقابل هذا الصنف، صنف أخر حقيق أنهم يخافون الموت، إلا أنهم يخشونه بنسبة أقل وهم المتدينون المؤمنـون الذين كلما ازدادت درجة إيمانهم، وتعلقهم بالجوانب الروحانية ؛كلما قلت نسبة خوفهم إذ العلاقة هنا عكسية مع هؤلاء إذ تصـل الحال ببعضهم إلى الإقـدام على الموت بدلاً من الخوف منه، خصوصاً عند الدفاع عن الدين والمقدسات .

وبمـا أن موضوع الخـوف من الموت كان وما يزال من الموضوعات المهمة فقد خصصت هذه الدراسة الموسـومة بـ (اسباب الخوف من الموت عند ابن مسكويه دراسة فلسفية)لمعرفة موقف هذا الفيلسوف المسلم من اسباب الخوف من الموت والتي تتكون من خمسة موضوعات : بيّنت في الموضوع الأول الخوف من الموت

بالفكر الإنساني والذي تكلمت فيه عن هذه الفكرة بشكلٍ مجملٍ ومختصر في الوقت نفسه. اما الموضوع الثاني فعرفت فيه بفيلسوفنا قيد البحث .وفي الموضوع الثالث أشرت إلى موقف ابن مسكوية من الخوف بشكلٍ عام .وتطرقت في الموضوع الرابع إلى اسباب الخوف من الموت كما حددها مسكويه وما هي ردوده مقابل كل سبب من جانب، وعرض جانباً من رؤاه الفلسفية تجاه الموت من جانب أخر .اما الموضوع الخامس والأخير فخصصه الباحث لعرض موقف مسكويه من الجزع من الموت من ناحية والاسترسال إليه أو القدوم عليه من ناحية أخرى .وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة مناهج عدة كالمنهج التاريخي والوصفي والتحليلي والمقارن في بعض الأحيان .

أولاً:-الخوف من الموت في الفكر الإنساني

لم يكن الموت والخوف منه والبحث عن الخلود شاغل الفلاسفة والمفكرين، وإنما شكل هاجساً قوياً لدى كل إنسان على وجه الأرض، وأول من بحث الخلود هو أبو البشر آدم (ع)[١]. فعند امعان النظر في الكتب السماوية المقدسة يتضح منها أن ابونا آدم وامنا حواء أكلا من الشجرة التي نهيا عنها وسبب أكلهما تصديق قول إبليس لهما بأنهما سيخلدان .ففي سفر التكوين ورد انهما لم يأكلا من الشجرة لأن الله اخبرهما أنهما سيموتان حال الأكل منها ((وأمر الله الإنسان وقال : لك الحرية أن تأكل من أي شجرة في الجنة إلا شجرة معرفة الخير والشر .فإياك أن تأكل منها ؛لأنك يوم تأكل منها تموت))[٢].ولما بيّنت لهما الحية بأنهما لم يموتا عند الأكل منها، بل ستنفتح عيونهما ويصيران مثل الله يعرفان الخير والشر ولما نظرت حواء إلى الشجرة فرأت أن ثمرها جيد للأكل وشهي للعين ومرغوب فيه ؛لأنها تعطي المعرفة، فأكلت منها واعطت زوجها منه أيضاً، وعندها انفتحت عيونهما فعرفا انهما عريانان فغطيا جسدهما بورق التين[٣].

وهكذا فإن سبب طرد آدم وحواء من الجنة وفقا لسفر التكوين أنهما أرادا أن لن يموتا، وارادا معرفة الخير والشر معاً، فمنحهما الله المعرفة ولم يمنحهما الأثنان معاً،ولم يحصلا على الخلود، بل عوقبا بالهبوط إلى الأرض ومتاعبها[٤].

وبالنظر بما ورد في القرآن الكريم يتضح أن آدم وحواء (ع) بحثا عن الخلود وملك لا يبلى وأنهما اكلا من الشجرة لهذا السبب بعد أن قسم لهما الشيطان بذلك ((وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ *وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)[٥] وانتهى بهما الأمر بأن بدت لهما سوأتهما وحاولا تغطية انفسهما لينتهي بهما الأمر بالهبوط إلى الأرض ((قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ))[٦] .

وعند الرجوع للماضي البعيد فقد جسدت ملحمة جلجامش أحد الشواهد على خوف الإنسان من الموت والبحث عن حياة خالدة حيث اصابه الذعر عندما مات صديقه انكيدوا وأدرك أن مصيره سيكون نفس مصير صديقه،

الموت و تحلل جسده واختلاطه بالتراب.فأخذ يبحث عن طريقةٍ لطردِ الموت عنه وعن مدينة أوراك ساعياً لاكتشاف سر الخلود مهما كلفه ذلك[٧]. وبعد مغامرات طويلة ينتهي به المطاف إلى اوتنابشتم الذي توسلت به زوجته أن يرشد جلجامش إلى مكان تلك الزهرة الشوكية التي تنمو في قاع البحر وتخبئ في جوفها عصيراً يمنح الشباب الازلي، وبعد بذله جهوداً مضنية بالحصول عليها خطفها ثعبان لينتهي به الأمر بالبكاء المر وعبثية جهوده، وان الشيخوخة لم ترحمه، و انه لم يتحرر من حتمية الموت[٨].

وعند الانتقال من الحضارة البابلية للحضارة المصرية فقد ركزوا على موضوع اطالة العمر وتجديد الحياة في كتاب الموتى عندهم، وامتداد هذين الموضوعين على مدار الحضارة المصرية القديمة والتي حفلت بموضوع الموت إلى حدٍ كبيرٍ [٩].

وبالغت الاساطير اليونانية في تضخيم فكرة الموت، واعطت للجحيم صوراً مرعبة إلى حدٍ ما، مما اسهم في زيادة حدة التوتر والقلق والخوف تجاه موضوع الموت، إذ كلما ازداد وصف الجحيم عندهم دقة وتفصيلاً ومبالغة وتأثيراً كلما ازدادت شحنة الخوف وترعرع الرعب في اعماق النفس، حتى صار بمثابة رادع للإنسان من الشر، بل ومقاومته مادام الموت حقيقة ازلية، وان الجحيم لابد منه في يوم ما[١٠].

اهتم اغلب الفلاسفة اليونان بموضوع الموت، فحاول بعضهم التخفيف من حدة الخوف منه، وابرز مثال على ذلك سقراط (٤٧٠ق.م-٣٩٩ ق.م) الذي أكد اهمية الفلسفة كوسيلة لخلاص الإنسان من موضوع الخوف هذا،وأن أولئك الذين يوجهون انفسهم في الطريق الصحيح إلى الفلسفة انما يعدون انفسهم وبمحض ارادتهم للموت، بل يجعلونه مهنة لهم. وحاول تهدئة ثورة اصدقائه وتلاميذه قبل أن يتجرع السم[١١] مؤكداً لهم ان الروح حال مفارقتها البدن ستكتمل لها الرؤية المباشرة للحقيقة ؛إذ البدن يحول دون الوصول إلى المعرفة الخالصة، ودون تأمل الأشياء في ذاتها[١٢].

ومن النماذج ايضاً على سبيل المثال لا الحصر ابيقورس (٣٤١ق.م-٢٧٠ ق.م) الذي دعا إلى ضرورة عدم الجزع والرعب والخوف من الموت، مؤكداً أن سبب الخوف هو الفهم الخاطئ لطبيعته، منطلقاً من فكرته بمادية الروح، وأنها تفنى بفناء الجسد، ولاوجود لحياة أخرى بعد الموت .فخوف الناس هو تصورهم بوجود حياة أخرى يجازون بها على اعمالهم. والواقع كما يراه أن الروح مثل البدن مادية ولا تحيا بعد الموت، بل ستتبدد ذراتها في الهواء مثل الدخان .وليس لها خالق تدين له بالوجود، إذ الحياة كما ظهرت مصادفة بلا علة أو سبب لها، فأنها ستختفي دون آية بقية أو أثر[١٣].

وإذا انتقلنا من الفكر الفلسفي اليوناني إلى الفكر الفلسفي في العصور الوسطى فإنه يتضح جلياً مدى اهتمام الفلاسفة بموضوع الموت والخوف منه، وذلك من خلال اهتمامهم بالسيمياء أو الكيمياء السحرية والتي ركزت على مسألتين رئيستين : الأولى اطالة العمر، والأخرى تحويل المعادن إلى ذهب[١٤]. ناهيك عن اهتمام الفلاسفة بالموت والخوف منه لدى الفلاسفة المسلمين (فلاسفة المشرق والمغرب العربيين) والفلاسفة المسيحيون واليهود .

واستمر هذا الاهتمام لدى الفلاسفة الذين ينتمون للفلسفة الغربية بشقيها الحديثة والمعاصرة، ولعل ابرز فلاسفة اشتهروا بالحديث عن الموت والخوف منه في الفكر الفلسفي الغربي هم الفلاسفة الوجوديين[١٥].

فهذا الفيلسوف الدنماركي كيركجارد رائد الفلسفة الوجودية يُعلن أن الموت هو بلوغ النهاية، وأن الموجود عندما يموت إنما يموت وحده، ولا ينوب عنه أحد، إذ ليس بإمكان أحد أن ينوب عن الآخر أو يحمل موته .الموت هو موتي أنا، إذ الموت اسلوب وجود أو كينونة تتحمله الآنية ما بقت كائنة، أنه يتغلغل في حياتنا كل لحظة من الميلاد إلى الوفاة ؛لذلك ما أن يأتي الإنسان إلى الحياة حتى يصبح شخصاً هرماً ناضجاً للموت[١٦].

وأكد أننا لوفهمنا الموت فهماً مسيحياً فما هو إلا الانتقال لحياة، ومن ثم فمن وجهة نظر مسيحية ليس هناك مرض مادي فيزيقي هو المرض طريق الموت، حيث أن الموت حقاً هو نهاية المرض، ولكنه ليس النهاية، إذ لو نظرنا للمرض على أنه النهاية فهذا يعني اليأس[١٧].

وأكد الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر على الآنية أن تحمل وتتحمل الموت كأمكانية، إذ هي مع الموت تواجه أخص امكانياتها واقصاها .وبهذه المواجهة تنفصم كل علاقاتاها بالآنيات الآخر، وترد إلى وحدتها وتفردها المطلق مع ذاتها، وأنها تشعر مع هذه المواجهة مع الموت، وهو شعور لا يحتاج إلى علم أو معرفة، بأنه ألقي بها في الموت، وهو شعور ينكشف للآنية بصورة ملحة في وجدانية القلق[١٨] .

ولم يقف الاهتمام بالموت والخوف منه على الفلاسفة، بل ادلى علماء النفس والاجتماع والطب والبايلوجيا بدلائهم فقدموا دراسات مهمة جداً، حول الاحتضار والموت، وأخذت بالتطور وظهر مصطلح علم دراسة الموت والاحتضار Thanatologyمن قبل ميشنكوف الحاصل على جائزة نوبل في البيولوجيا الطبية .وأُسست مجلات خاصة حول موضوعات الموت، فظهرت عام ١٩٧٠ مجلة النهاية، ومجلة الاحتضار، ومجلة علم الموت والاحتضار، ومجلة التربية المتصلة بالموت .وفي عام ١٩٧٧ صدر أول مسح نقدي لسيكلوجية الموت وضع بين دفتي دورية العرض السنوي لعلم النفس .اضافة إلى تقديم بحوث متعددة حول خبرة الاقتراب من الموت Near death أو ما يسمى بعلم دراسة مشارف الموت .علاوة على تطور الأدوات الموضوعية للقياس[١٩].

وأصبح موضوع الموت ايضاً من ضمن اهتمام الباراسايكلوجيا حتى أصبحت الخبرات البديهية التي توحي بالحياة بعد الموت تؤلف النوع الثالث للحوادث الخارقة ظاهرياً، إلى جانب تلك الخبرات عن حوادث الادراك فوق الحسي والتحريك النفسي .وإذا اصبحت كلمة ساي psi تستعمل الآن استعمالاً واسعاً لتشمل الادراك فوق الحسي، والتحريك النفسي، فإن الطريقة الخارقة البديلة لتفسير المعطيات الظاهرية جميعا التي توحي بالحياة بعد الموت يشار إليها احياناً بأنها فرضية سوبر ساي (ساي فائق)[٢٠].

وما زالت الدراسات قائمة ومستمرة حول الموت والخوف منه وفي مختلف التخصصات حتى اللحظة بما فيها التي تنظر له من زاوية

دينية وأخرى فلسفية ونفسية واجتماعية وطبية ....الخ.

هـذه ابرز الأفكار التي ترتبـط بالخوف من الموت في الفكر الإنساني، وبعد عرضها بشكلٍ مجمـلٍ سـأنتقل بالحديث عـن التعريـف بأبن مسكويه .

ثانياً :- ابن مسكوية (٣٣٢هـ - ٤٢١هـ)

قبل الولوج إلى التعريف بأبن مسكويه لابد من الإشـارة إلى تحديد من الملقب بمسـكويه، هـو أم أبوه أم جده ؟ اشـار محقق كتاب تهذيب الاخـلاق وتطهير الاعراق لأبن مسـكوية بأن مسـكويه لقب له هو وحصـول الخلط يعود إلى عدم الانتباه إلى التسـمية التي سماها معاصروه من اصدقائه وزملائه مـن جانب، ولأن بعض المؤرخين رأوا مسـكويه يسمي نفسه بطرق لا يمكن معها البت فهو يسـمي نفسـه بـ (الأسـتاذ احمد بن محمد بن مسكويه) و (احمد بن محمد بن يعقوب مسـكويه)ففي الأولى لقب مسكويه وقـع بعد اسـم والده، وفي الثانية وقع بعد اسـم جـده، فأوهم البعض أن مسـكويه لقب لأبيه أو جـده عند البعـض ؛ونتج عن ذلـك أن البعض يسـميه أحمد مسـكويه، والبعض يسـميه أحمد بن محمدبن مسـكويه، والبعض يسميه احمد بن محمد بن يعقوب مسـكويه .والحقيقة أنه عندما يقال احمد مسـكويه فالقصد أن يذكر اللقب بعد اسـمه، إذ الاسـم إذا ذكـر وحده فاللقـب يتلوه مباشـرة .أما عندما يذكر اسمه واسم والده فقط فاللقب يذكر بعد اسم الأب، وكذا عند ذكر اسمه الثلاثـي فاللقب يأتي بعد اسـم الجـد .وما يدعم أن مسـكوية هو لقبه هو أن فيلسـوفنا في كتابه الذي اشـترك فيـه مع أبي حيـان التوحيدي[٢١] (٣١٠هـ-٤٠٠هـ أو ٤١٤هـ)والمسـمى بالهوامل والشوامل أنه وعلى مدار ١٧٤مسألة من بين ١٧٥ مسألة يستهل اجابتها بجواب(قال أبو علي مسكويه) إلا في المسألة الأولى والتي ذكر اسمه متلواً باسم ابيه إذ ورد فيها (قال أبو علي احمد بن محمد مسـكويه)وعليه فمسكويه لقبه هو[٢٢].

ومـا ذكـره المحقـق صائب جـداً حول أن مسـكويه هو لقبه الخاص به كشخص والدليل أنـه لم يقل ابن مسـكويه، بل اكتفـى بأبي علي مسـكويه، ولكنه فـي المرة الثانيـة وفي نفس الكتاب نسـب مسـكويه لوالده وهذا يحيل إلى رأي أخر مفاده أن مسكويه يمكن أن يكون لقبه الخاص بـه من جانب ولقب جـده أيضاً وعليه فلقب مسـكويه يصح اطلاقه على الأبن والوالد والجد .وعندها يكون اسـمه أبو علي مسـكويه أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه.

وبعد عرض الأفكار حول لقبه بات واضحاً اسـم فيلسـوفنا موضوع البحث فهـو ابو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه المعروف بالخازن ؛لأنـه كان كاتباً وخازنـاً لكتب الملك عضـد الدولة الـذي حكم من سـنة ٣٦٧هـ إلى سنة ٣٧٢هـ، كما كان ذو حظوة عند سلفه ركن الدولـة (٣٢٨هـ-٣٦٦هـ)وعند خلفه صمصام الدولة (٣٧٢هـ-٣٧٦هـ)في الري[٢٣].

كان مسـكويه مـن كبار فضـلاء العجم[٢٤] واجـلاء فارس وكانت له مشـاركة فـي العلوم الأدبيـة القديمـة كمـا كانـت لـه مناظـرات ومحاضـرات وتصنيفات فـي العلوم[٢٥]. وكان فاضـلاً في العلوم الحكميـة متميزاً فيها، فضلاً عـن كونـه خبيراً فـي الطب جيد فـي اصولها وفروعهـا[٢٦]. فضـلاً علـى أنـه كان مؤرخاً مقتـدراً، وعالمـاً اخلاقياً بارعـاً، ناهيك عن

مكانته في العلوم اللغوية والأدبية[٢٧].

ترك مصنفات عدة وفي ضروب المعرفة شتى .ذكر له ابن ابي أصيبعة كتاب الأشربة، وكتاب الطبخ، وكتاب تهذيب الأخلاق [٢٨] واضاف القفطي كتاب الأنس الفريد وهو على حد وصفه أحسن كتاب في الحكايات القصار والفوائد اللطاف .وكتاب تجارب الأمم في التاريخ والذي بلغ فيه إلى بعض سنة اثنين وسبعين وثلثمائة، وهي السنة التي مات فيها عضد الدولة بن بويه صاحبه، ووصف هذا الكتاب بالجميل والكبير لاشتماله على ما ورد في التاريخ مما اوجبته التجربة وتفريط من فرط، وحزم من استعمل الحزم .وله أيضاً في أنواع الأوائل كتاب الفوز الكبير والفوز الصغير أي (الفوز الأكبر والفوز الأصغر).وكتاب في الأدوية المفردة، وكتاب في تركيب الباجات من الأطعمة، وفي هذا الكتاب كما بيّن القفطي أن مسكويه أتى فيه على اصول علم الطبيخ وفروعه بكل غريب وحسن [٢٩].

عاصر ابن مسكويه ابن سينا (٣٧٠هـ ٤٢٧هـ)وأبو حيان التوحيدي، والغريب أن ابن سينا وصف مسكويه بعسر الفهم في مسألة حاضره فيها حتى أنه اعادها عليها كرات ولم يفهما حتى تركه[٣٠].

أما التوحيدي فوصفه بأوصافٍ كان سلبيها أكثر من ايجابيها إذ نعته بأنه فقير بين اغنياء وعييّ بين ابنياء أي أنه صغير بين كبار البنية إذ عييّ تعني الذي لا يكاد يبين. وأنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء وخدمة صاحبه في خزانة كتبه، وتقطيع وقته في حاجاته الضرورية والشهوية حتى أنه لم يستفد من مفكري زمانه[٣١].ومع ذلك وصف التوحيدي مسكويه بأنه كان ذكياً، حسن الشعر، نقي اللفظ، وانه فيما بقي لعله يتوسط هذا الحديث، ثم نعته باحتراف البخل بالدانق والقيراط والكِسرة والخرقة[٣٢].

وبهذا قدم التوحيدي صورة ليست بالجيدة حول مسكويه ماعدا وصفه بالذكاء وحسن الشعر ونقاء اللفظ . وعلى الرغم من سوء رأي ابن سينا والتوحيدي به، فإن التوحيدي قد وافانا على كل حال بمجموعة متنوعة من آرائه الأدبية والفلسفية في كتاب الهوامل والشوامل، وعليه يمكن عد مسكويه إلى جانب التوحيدي والسجستاني (المتوفى نحو سنة ٣٨٠هـ) . بوصفهم من الرعيل الأول بين أدباء العصر الموسوعيين، فضلاً عن تدرج عمل مسكويه من التاريخ إلى علم النفس إلى الأخلاق[٣٣] فأسهم في إثراء الساحة الفكرية بمؤلفاتٍ متنوعةٍ لا تخلو من المنفعة والفائدة لمن اطلع عليها .وموضوع الخوف واسباب الخوف من الموت إلا أحد مصاديق آراؤه النافعه والمفيدة .

ثالثاً :-موقف ابن مسكويه من الخوف

ميز ابن مسكويه بين الخوف الاعتيادي والخوف الشديد في غير محله، وعده من امراض النفس إذ الخوف يعرض للإنسان من توقع مكروه وانتظار محذور، والتوقع والانتظار يتعلقان بحوادث المستقبل وهكذا حوادث قد تكون ضرورية أو محتملة أو ممكنة الوقوع .والممكنة الوقوع قد نكون نحن السبب في حصولها أو غيرنا[٣٤].

ومن خلال تمييزه بين الخوف الاعتيادي والخوف المبالغ فيه يتضح اسبقيته لبعض علماء النفس الذين اهتموا بدراسة موضوع القلق والخوف، وتحديد الحالة الطبيعية والمرضية منها[٣٥].

أكد مسكويه على العاقل أن لا يخاف من احداث لم تقع بعد، إذ شعوره بالخوف منها يعني تعجيل الألم للنفس على أمورٍ لم تقع بعد أو أنها ربما لا تقع اصلاً، سواء أكانت تلك الأمور التي توقع حدوثها هو سببها أم سببها خارج عنه .الأجدر به أن يكون خوفه أو كرهه لحدوثها على قدر حصولها، بل الأحسن اللجوء إلى الظن الجميل والأمل القوي. وعليه إذا كان طالباً لحسن العيش وطيب الحياة أن يترك الفكر في ما يمكن أن لا يقع من المكاره[٣٦].

وفيما يخص المخاوف الناتجة عن حصول احداث غير مرغوب فيها مستقبلاً بسبب افعالنا وسوء اختيارنا كارتكاب الذنوب والجنايات'فبيّن انه إذا كان خوفنا بسبب ذلك فالأفضل ترك تلك الذنوب والجنايات للخلاص من خوف الوقوع بعواقبها .إذ على الإنسان أن لا يقدم على أمر لا يؤمن غائلته ومن يفعل ذلك مثله كمثل من نسى الفرق بين الواجب والممكن[٣٧] إذ الممكن هو الذي يجوز أن يكون، ويجوز أن لا يكون .والإنسان إذا أتى ذنباً أو جنى جناية فأنه سيقدر في نفسه أن هذا الفعل اما أن يخفى ولا يظهر أو لا يخفى فيظهر، فإذا قدم على عمل مع علمه بأنه سيخفى ولا يظهر وخاف ظهوره كأنما جعل من الممكن واجباً ؛لأنه خاف من الجانب المأمون .وإذا قدم على فعل وهو يعلم بأنه سوف لا يخفى، بل سيظهر ومع ذلك لم يهتم بالأمر، فإنه آمن الجانب المحذور منه وتعامل مع الواجب كتعامله مع الممكن[٣٨].

واما عن المخاوف الناجمة من اسباب خارجية ضرورية كالهرم وتوابعه فأكد أنها أمور لا تستوجب الخوف إذ من أحب طول الحياة فإنه احب الهرم لا محالة، بل واستشعره استشعار ما لابد منه إذ مع الهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الأصلية التابعة لها، وأنه سيغلب عليه ضديهما من البرد واليبس وضعف الأعضاء الأصلية كلها ؛فيتبع ذلك قلة حركة الإنسان، وبطلان نشاطه، وضعف آلات الهضم لديه ؛بسبب ضعف آلات الطحن وتنقص قوة القوى المدبرة للحياة كالقوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وسائر ما يتبعها من مواد الحياة .وليست الأمراض والآلام شيئاً غير هذه الأشياء فضلاً عن ذلك فإن الطمع بطول الحياة يعني على الإنسان أن يتحمل موت الأحباء وفقد الأعزاء[٣٩] .

هذه باختصار مجمل الأفكار التي ناقشها مسكويه حول الخوف بشكلٍ عام ، وبعد عرضها سأنتقل بالحديث عن اسباب الخوف من الموت .

رابعاً:-أسباب الخوف من الموت

أكد مسكويه أن الخوف من الموت أمر عام، وأنه على الرغم من عمومه فإنه أشد وأبلغ من جميع المخاوف[٤٠].

واكتفى بالإشارة إلى أن الخوف من الموت ظاهرة يشترك بها عامة البشر، إلا أنه لم يحدد هل هذا الخوف فطري أم مكتسب تلك المسألة التي طرحها علماء النفس المعاصرين[٤١].كما أنه لم يذكر هل أن هذا الخوف أمر طبيعي أم مرضي ذلك التمييز الذي أكده علماء النفس وبعض المهتمين بموضوع الخوف من الموت[٤٢].ويبدو من اكتفائه بالقول بأن الخوف من الموت أمر عام، أنه يعني به الخوف الطبيعي .

وذكر مسكويه جملة من الأسباب والتي

يقدمهـا الأغلب من البشـر لتعليـل خوفهم من الموت حددها بأسباب خمسة هي:

الظن بأن الذات أو النفس ستنحل عند انحلال البدن وتبطل ببطـلان تركيبه بعد الموت، وأكد أن هذا رأي من يجهل حقيقة بقاء النفس وكيفية المعاد.

- الظـن بـأن للمـوتِ المأً عظيمـاً غير ألم الأمـراض التي ربما تقدمتـه وأدت إليه وكانت سبب حلوله.

- خشية الإنسـان من الموت بسبب اعتقاده بأن عقوبة ستحل به بعد الموت .

- الحيرة إذ لا يدري على أي شـيء سـيقدم بعد الموت.

- الأسف على ما سيخلفه من مال ومقتنيات أخرى[٤٣].

وبعـد ذكره لهـذه الأسـباب والتـي أخذها منـه فيما بعـد نصير الدين الطوسـي (٥٩٧هـ -٦٧٢هـ)وأكدها في كتابـه أخلاق ناصري[٤٤] .أكد فيلسـوفنا قيد البحث أن كل هذه الأسـباب إنما هي ظنون باطلـة لا حقيقة لها، وحاول أن يرد على كل سـبب على حده ؛لغرض التهوين من هذه المخاوف .

أكد بداية معنى الموت في اللغة العربية بأنه مفارقة النفس للجسم، وإنما يقال للجسم ميت إذا فارقته النفس، ويعنون بمفارقة النفس للشيء إذا كان الإنسـان ميتاَ. ومن عادة أصحاب اللغة إذا أرادوا بمـا كان الشـيء هو ما هـو عبروا عنه بعبـارة، فإذا فارقته تلك الصورة عبروا بعبارةٍ أخرى، إذ هم يقولون حي وميت اشـارة إلى ما ذكرنـا، وهذا يقال في جميـع الصور الأخرى المختلفـة فإنهـم يقولـون في الثـوب إذا بطلت صورتـه بلى، وفي الحديد صـدى، وفي البيت انهدم[٤٥].

وأما عن الأسـباب التي قدمت للخوف من الموت .فقد رد عليها تباعاً .

١- فيمـا يخص لمن يخاف الموت بسـبب الجهل وعـدم معرفـة حقيقته فالرد الـذي بيّنه مسـكويه هـو أن المـوت ليس أكثـر من ترك النفـس اسـتعمال آلاتهـا، أي الأعضـاء التـي يسمى مجموعها بدناً، فتتركه كما يترك الصانع استعمال آلاته .والنفس جوهر روحاني وليست جسماني، وأنها ليست بعرض حتى تقبل الفساد كالأعراض، بل أنها جوهر مفارق للبدن ومباين لـه كل المباينـة سـواء من حيث الـذات أو من حيث الأفعال والآثار .والذي يبطل هو النسـب والإضافات التي بينه وبين الأجسـام باضدادها إذ الجوهر لا ضد له، وكل شـيء يفسـد ففساده من ضـده، وهذا أمـر متفق عليه بسـهولة من أوائـل المنطق قبل الوصول إلـى البراهين[٤٦]. وهكذا فالإنسـان إذا تأمل الجوهر الجسـماني والـذي وصفـه بأنـه أخس مـن ذلـك الجوهر الكريم، أي جوهر النفس و أستقرأ حاله، لوجده غير متلاشـي من حيث جوهره، وإنما يستحيل إلى بعض فتبطل خواصه واعراضه من شـيء فشيء[٤٧].

واعطى مثالاً حول ذلك أشار فيه إلى كيفية اسـتحالة الماء إلى بخار و هواء، وكذا استحالة الهـواء إلـى ماء ونـار، إذ تبطل عـن الجوهر اعراضـه وخواصه .وهذا الأمـر ينطبق على جوهـر جسـماني قابل للاسـتحالة والتغير .أما إذا كان الحديـث عن جوهـر روحاني، فإنه لا يقبل الاسـتحالة ولا التغير في ذاته، بل هو يقبل

كمالاته وتمامات صورته .ولا يجوز أن يتوهم فيه العدم والتلاشي[٤٨].

فالنفس هي المدبرة للبدن والسائسة له، سياسة رئاسة، وأنها ليست الحياة، بل هي التي تولد في البدن الحياة، وأنها مفارقة للبدن، ولها أفعال خاصة بها بعد المفارقة [٤٩] مثلما لها أفعال خاصة قبل المفارقة للبدن . النفس هي التي تدرك وجودها، وتعرف وتعلم، وتقبل صور المتناقضات مع بعضها في وقتٍ واحدٍ، ولها معرفة أولية تميز بين الصادق والكاذب، وتميز بين المدركات الحسية وتنظمها، وتعرف نفسها لذاتها، إذ تظهر بوحدةٍ روحيةٍ يتطابق فيها العقل والعاقل والمعقول .وكل هذه الأمور لا تتوافر للبدن ولا للحواس، فضلاً عن ذلك فالنفس الإنسانية تختلف عن النفوس الحيوانية من خلال التفكير العقلاني وجعله مبدأً لسلوكها الموجه نحو الخير[٥٠].

والنفس كما يرى مسكويه عند استكمال صورتها فأنها تشبه الفرخ الذي يخرج من البيضة، إذ يلغي عنه قشوره،ويحصل لها من مفارقة البدن صورة تلتذ بها بحسب ما استفادته واكتسبته عند ارتباطها بالبدن، وتحصل بهذا على هيئة تصورها أما سعيدة واما شقية[٥١] وهذه السعادة والشقاء إنما تختص بالنفس العاقلة من الإنسان ؛كونها هي الباقية منه، وأنه لابد من أن تحصل على أحد الحالين[٥٢].

وبيّن مسكويه قائلاً : ((فإذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التي شرطنا بقي البقاء الذي يخصه، ونقي من كدر الطبيعة، وسعد السعادة التامة، ولا سبيل إلى فنائه وعدمه، فإن الجوهر لا يفنى))[٥٣].

عند إنعام النظر في النص الوارد يتضح أنه أكد على مفاهيم عدةهي :مفارقة النفس للبدن، وعلى الشريطة التي قدمنا، ونيل السعادة التامة .فأما المفارقة فتعني الموت، وأما الشريطة والسعادة التامة فيحتاجان إلى شيء من التوسع والاسترسال لغرض تحليلهما وايضاح معنيهما.

فأما الشريطة فيقصد بها تحصيل الحكمة أي الفلسفة، فأنها الشرط الرئيس لنيل السعادة التامة .وتحصيل الحكمة لدى مسكويه مشروط هو الآخر بشروطٍ عدة هي :

أ- تحصيل جزئيها النظري والعملي . فبالنظري يحصل الإنسان على الآراء الصحيحة، وبالعملي يحصل على الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة .وبهذين الأمرين كما يرى :((بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها، وهم أطباء النفوس يعالجونها من اسقام الجهالة بالأدب الحق ؛لما يأخذونهم به من الآداب الصحيحة والأعمال النافعة، ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد إقامة الحجة عليهم بالمعجزات، فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط المستقيم، ومن خالفهم تردى في سوء الجحيم))[٥٤].

ب-أن السعادة القصوى على كل حال لا ينالها كل إنسان، بل العدد القليل منهم، وعلى من وصل إليها من خلال نيل الحكمة أن يدل عليها ويرشد ابناء الحكمة وطلابها[٥٥].

جـ - ضرورة القوة والإلمام بالجانبين النظري والعملي للفلسفة، فهذه الضرورة هي التي تجعل من صاحبها سعيداً كاملاً، وحكيماً فاضلاً. واما من ضعف بجانب وقوي بجانب فلا تنطبق عليه السعادة الكاملة[٥٦].

د- لغرض نيل السعادة التامة بالحكمة يجب مراعاة تصنيف أو تقسيم أرسطو طاليس لمباحثها وموضوعاتها من منطقيات وطبيعيات وما بعد الطبيعة، فضلاً عن الجانب العملي من تدبير المنزل، وتدبير المدن، والأخلاق[٥٧].

هـ - أهمية البدء بكتب الأخلاق لتهذيب النفس من كدورات الشهوات والتخفيف من عوارضها لتتمكن من قبول الحكمة، ثم النظر في شيء من التعاليم[٥٨] ليعرف طريق البرهان، وينظر بعدها بالمنطق بوصفه آلة في جميع ما يقصد، ثم ينظر بالطبيعيات، ثم ما بعد الطبيعة .ومن عمل بذلك فأنه عندما يصل إلى المرتبة الأخيرة سيطلع على حقائق الموجودات، وينزل منازلها، وتتصور نفسه بها .وعند تصور النفس بحقائقها للأمور وعقلها عقلاً تاماً، ستزول عنها رسوم الأعراض التي هي الأمور الطبيعية، وعندها ستحصل صور الأشياء العقلية السرمدية ويتحد بها العقل فتصير شيئاً واحداً، إذ من شأن العقل أنه يصير جزؤه كُلاً، وعند مفارقة النفس للبدن لمن كانت هذه حاله، ستنتقل إلى وجودٍ ثاني هو غايته الأخيرة وكماله الأقصى[٥٩].

وأكد مسكويه أن الحكيم الفيلسوف والذي سعد السعادة التامة فأنه عندما يتأمل بالعوالم على الترتيب :العالم الأول والثاني والثالث، سيشاهد من آثار الحكمة وعجائبها في كل موجود، وحاجة كل مركب إلى مركب .وأنه سيرتقي بالحقيقة إلى واحد بالحقيقة لا تركيب فيه، مستغنٍ بنفسه، ولا حاجة به إلى شيء ممد بقوته إلى ما دونه .وأنه إذا وقف بالضرورة عنده علم أنه المبدأ الأول الذي لا يتقدمه شيء، وسوف لم يجد له ولافيه شيئاً من صفات العوالم، وسيعلم أن جميع ما يطلق عليه من صفات مبدعاته واسمائها كقولنا سبب وعلة وحكيم وجواد وما شابه ذلك، مما في طاقة البشر وقدرة الإنسان، إنما هو مستعار ومجاز ؛لأنه تعالى وتقدس موجد هذه الفضائل كلها ومبدعها وهو غيرها .وهذه نهاية ما يمكن بلوغه بالعقل، وأن الناظر في هذه العوالم المرتقي فيها إلى هذه الرتبة سيجد من اللذة بما يشاهده بعين عقله ما لا يشبهه من اللذات الجسمانية ولا يدانيها ؛لأن تلك اراحات من الملائم، وهذه جنس من اللذة الروحانية الدائمة[٦٠] الغير المفارقة لصاحبها، إذ لا يمكن أن تزول عنه كما يرى، ولا يقدر متسلط عليه أن يسلبها منه، وأن شاركه فيها آخر فلا ينفعه ولم يضره، بل تزداد لذته وتتضاعف بهجته .

وبيّن أيضاً أن من وصلوا إلى هذا الموضع لم يكونوا على رتبة واحدة، بل على مراتب كثيرة ومنازل متفاوتة، وهي التي ربما تسمى مقامات لا يعرف كميتها، إلا من مر بشيء من جناباتها وذاق بعض حلاوتها .واختتم موقفه قائلاً : ((ومن هنا تتبين صحة ما قلناه فيما تقدم أن المرء الذي ينظر من اسفل إلى فوق على تدريج صحيح هو الذي يعرف ربه معرفة لا ريب فيها، ويمكنه أن يراه بنحو ما يستطيع المخلوق أن يرى خالقه، فإذا عكس نظره من فوق إلى أسفل وانحدر فيه كما صعد نظر إلى اشتمال هذا الأول اللطيف الواحد على ما دونه، واحاطته بالجميع احاطة تقدير وتدبير، كما احاط العقل بالنفس، والنفس بالطبيعة، وكما احاطت الطبيعة بالأجسام من غير حاجة إليها، وظهرت له حاجة الجميع إليه، وغناه عنها جلّ وتقدس علواً كبيرا))[٦١].

هـذه هـي السـعادة التامة التـي قصدها بن مسـكويه، أنها سـعادة خاصـة الخاصة، وكل سـعادة غيرها إنما هي سعادة ناقصة، كالسعادة المجازيـة، والسـعادة الحقيقيـة، والسـعادة المظنونة، والسعادة العامة، والسعادة الخاصة، وسـعادة خاصـة الخاصـة، وسـعادة النفـس، وسعادة البدن(٦٢).

وبهـذا يتضـح أبـرز الأفكار التـي ترتبط بردود أبن مسكويه على من خاف الموت بسبب الجهـل، وعدم المعرفـة بحقيقة المـوت والتي يتضـح من خلالهـا دعوته لمن يخـاف الموت إلـى الخلاص منه عـن طريق معرفة لفلسـفة وعلومها، وأنها سـتمنحه السـعادة الحقه .وانه دعا للشفاء من خوف الموت بالفلسفة (٦٣).

٢- الخـوف مـن المـوت بسـبب الظن أن النفس أو الذات ستنحل مع انحلال البدن وتبطل مع بطلانه .

أكد مسـكويه أن هذا الخوف ناتج عن جهل صاحبه في بقاء النفس، وكيفية المعاد، وإنسـان هذه حاله فهو بالحقيقـة لا يخاف الموت، وإنما يجهل ما ينبغي عليه تعلمه، فالجهل هو المخوف، وهـذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب عليه حتى أنهم تركوا لأجله اللذات الجسمانية وراحات البدن، بل واختاروا النصب والسـهر ؛لأنهـم رأوا أن الراحة التي تكون من النفـس هي الراحـة الحقيقية .والتعـب الحقيقي هو تعـب الجهل ؛كونه مرضـاً مزمناً للنفس، والبراء عنه خلاص للنفس، بل وراحة سرمدية ولذة أبدية(٦٤).

وأن الحكمـاء لما ايقنوا ذلك واسـتبصروه فقـد وصلوا إلى الـرّوح والراحة منـه، فهانت عليهم أمـور الدنيا كلها حتى اسـتحقروا جميع ما يسـتعظمه الجمهور من مـال وثروة ولذات حسـية، والمطالـب التي تؤدي إليهـا، بوصفها قليلـة الثبات والبقاء، وسـريعة الزوال والفناء، أضافة إلـى أنها لا تجلـب لصاحبها غير كثرة الهموم حـال وجودها، والغمـوم العظيمة حال فقدهـا ؛ولهـذا اقتصـر الحكماء علـى المقدار الضـروري فـي الحياة، وتسـلوا عـن فضول العيـش لمـا فيـه من عيـوب ؛ولأنها مـع ذلك بلانهاية، بمعنى أن الإنسـان كلما نال منها شيئاً أو بلغ منها غاية تاقت نفسه إلى غاية أخرى من غير توقف عند حد ولا انتهاء عند أمد، وهذا هو الموت للإنسـان لما خـاف منه .فالحرص عليه هـو حرص على زائل، والشـغل به هو شـغل بالباطل ؛ولذلك جزم الحكماء أن الموت موتان :ارادي وطبيعي، مثلما أن الحياة عندهم نوعان إراديـة وطبيعيـة .المـوت الإرادي يعني إماتة الشهوات وترك التعرض لها، والموت الطبيعي هو مفارقـة النفس للبـدن .أما الحيـاة الارادية عندهم فتتجسـد بما يسـعى له الإنسـان لحياته الدنيا من مآكل ومشارب وشهوات .بينما الحياة الطبيعية تعني بقاء النفس السرمدي بما استفادته من علوم حقيقية تبرأت بفضلها من الجهل (٦٥).

وأشار مسكويه إلى أن افلاطون(٤٢٨ق.م-٣٤٧ق.م) لما ادرك تلك الحقيقة أوصى طلابه باختيـار الموت الارادي ليحيوا بالطبيعة (٦٦) إذ للنفـس جهتان من الحركـة :أحداهما نحو ذاتها وهـي التـي تحركها نحو العقـل، الذي هو أول مبـدع لله تعالـى .والثانيـة نحـو آلات الطبيعة ؛لتكمـل الاجـرام الهيولانيـة، فعلـم أن احدى الجهتين هي التي تسـوقها إلى سـعادتها وبقائها اللائق بها .والأخرى هي التي تحطها وتخرجها عـن ذاتهـا .وتلـك الحركتـان أطلـق عليهمـا

الأوائـل بجهتـي العلو والسـفل، ومعلـوم أنهم يريـدون بذلك حركة الجرم في العلو والسـفل، ولكنهـم لـم يسـتطيعوا غيـر ذلك فـي العبارة .اما الشـريعة فعبرت عن هـذا المعنى باليمين والشـمال .وبالجملـة فـإن الجهـة الأولـى من الحركـة كلما امعنت فيها النفـس وتداخلت إلى ذاتهـا، وتوجهت نحو باريهـا ومبدعها الواحد، الـذي به وجدت الوحدة في كل موجود، وبه دام البقاء السرمد .واما الجهة الأخرى من الحركة، فكلمـا امعنت فيها النفس وتشـبثت بها وتكثرت وخرجـت بها عن ذاتها، فأنها توصف بالشـقاء ؛لما تقتضيه هـذه الحال ؛ولذلك أعلن افلاطون أن الفلسـفة هي التد رب علـى الموت الارادي ؛لأن الموت عنده موتـان .والحياة حياتان، فإذا كانت أحدى الحياتين بحسـب هـذه الحركة من النفس، والأخرى بحسـب تلـك فوجب لذلك أن يكون الموت أيضاً موتين ؛لأن كل واحدة منهما تقابـل صاحبتها، فكان يسـمي الحياة التي تتجه نحو الهيولى حياة ارادية، وكذلك الموت المقابل لها، ولهذا حث على الموت الارادي [٦٧].

وصرح مسـكويه أنه حال خوف الإنسـان من المـوت الطبيعي، إنما هو خوف مما ينبغي أن يرجـوه، وذلك أن هذا المـوت هو تمام لحد الإنسـان إذ حده بأنه حـي ناطق ميت، والموت تمامه وكماله وبه يصير إلى أفقه الاعلى .وهنا نلمس حضور الكندي (١٨٥هـ- ٢٥٦هـ)في فكر مسكويه بهذه الفكرة[٦٨].

وبيّن مسكويه أن من علم أن كل شيء مركب من حـده، وحـده مركب من جنسـه وفصوله، فجنـس الإنسـان هو الحـي، وفصـلاه الناطق والمائت، فأنه سيعلم بأنه سوف ينحل إلى جنسه وفصوله ؛لأن كل مركب لا محالة منحل إلى ما تركب منـه، وعليه فمن اجهل ممن يخاف تمام ذاته .ومن اسوء حالاً ممن يظن أن فنائه بحياته ونقصانـه بتمامـه ؛وذلك أن الناقـص إذا خاف مـن تمامه فهذا يدل على أنه في غاية الجهل .إذ الواجب على العاقل أن يستوحش من النقصان، ويأنـس بالتمام حيث يطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته، ويخلي رباطه من الوجه الـذي يأمن به الوقوع في الأسـر، لا من الوجه الذي يشـد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً . وعليه أن يثق بأن الجوهر الشـريف الإلهي إذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني، إنما هو خلاص بقـاء وصفو، لا خلاص مزاج وكـدر، وأنه قد سـعد وعاد إلى ملكوته وقرب من بارئه، وفاز بجـوار رب العالمين، وخالـط الأرواح الطيبة من اشكاله واشباهه، ونجا من اضداده واغياره .وهكذا فمن فارقت نفسه بدنها وهي مشتاقة إليه خائفـة من فراقه، فإنها في غاية الشـقاء والبعد من ذاتها وجوهرها، سالكة إلى أبعد جهاتها من مستقرها، طالبة قرار ما لا قرار له [٦٩].

٣- الخـوف من الموت بسـبب الظن أن له ألمـاً عظيماً غير ألم الأمـراض التي ربما اتفق أنها تتقدمه وتؤدي إليه.

بعـد أن اكد مسـكويه بأننا جميعاً سـنموت بوصـف الموت جـزءاً مـن طبيعتنـا، وعلينا القبول بأننا مشروطون بذلك، وان فالخوف من الموت بناءاًعلى ذلك سيكون تناقض مع الذات .أكد أيضاً أننا إذا كنا نخشى الموت للألم الناتج عنه فإن خوفنا ليس من الموت، بل من الألم مما يوحي بأن الموت مرحب به بدلاً من رفضه[٧٠].

وان الألم إنما يكون للحي، والحي هو القابل لأثر النفس .والجسم إذا كان ليس فيه أثر للنفس فإنـه لا يتألـم ولا يحـس .وبمـا أن الموت هو

مفارقة النفس للبدن فالموت يجعل البدن لا حس فيــه ولا ألم، وانه مفارقــة النفس لما كان يحس ويتألم[٧١] .وبناءً على ما تقدم فلا يحق لنا خشية الموت إذا كان المبرر هو الألم .

٤- الخــوف من الموت خشــية مــن العقاب الموعود.

أكد بن مســكويه أن من يخاف الموت خشية العقاب، فأنه فــي الحقيقة لا يخاف الموت، بل يخــاف العقاب .والعقاب إنما يكون على شــيء بــاقٍ بعد البــدن، ومن يعترف ببقاء شــيء منه بعــد بدنه وهو مقر بذنوبه وافعاله السـيئة التي يســتحق عليهــا العقاب، فهو معتــرف على كل حال بحاكم عدل يعاقب، على الســيئات لا على الحسنات . وعليه سيكون خائفاً من ذنوبه لا من المــوت .والأجدر بمن يخاف العقوبة على ذنب أن يحــذر من ذلك الذنــب ويتجنبه، وعليه ترك الأفعال الرديئة التي تسمى ذنوباً، وترك الهيئات الرديئــة أي ترك الرذائل وعمل الفضائل .ومن خاف الموت من هذه الجهة فوقوع الخوف سببه الجهــل بما ينبغي ان يخاف منه، انه بهذه الحالة خائف مما لا أثر له ولا خوف منه .وليس أمامه من عــلاج إلا بالعلم والحكمة .الحكمة هي التي تخلصه من الآلام والظنون الكاذبة[٧٢].

وما ذكره مســكويه مــن افكار حول خوف المــوت خشــية للعقــاب المنتظــر يعيــد للذهن الأفكار التي طرحهــا أبو بكر الرازي (٢٥٠ هـ-٣١١هـ)عندمــا دعــا إلــى ضــرورة عــدم الخــوف مــن المــوت لمن يعتقــد بأن لــه حالة وعاقبة سيصير إليها بعد الموت، خصوصاً إذا كان خيــراً فاضلاً مكملاً لأداء ما فرضت عليه الشــريعة المحقة ؛لأنها وعدته بالفوز والراحة والوصول إلى النعيم الدائم .وإذا كان شــاكاً في هذه الشــريعة ولــم يعرفها ولــم يتقين صحتها، فليس له إلا البحــث والنظر جهده وطاقته، فإن افرغ وســعه وجهده غير مقصر ولا وانٍ، فإنه لا يــكاد يعــدم الصــواب، وأن عدمــه ولا يكاد أن يكــون ذلــك، فالله تعالى أولــى بالصفح عنه والغفــران لــه، إذ كان غير مطالب بما ليس في الوسع، بل تكليفه وتحميله عزّ وجل لعباده دون ذلك كثيراً[٧٣].

٥- الخوف من الموت بسبب الحزن على ما سيخلفه من أهل وولد ومال ونسب وفوات ملاذ الدنيا وشهواتها والانقطاع عنها .

رد بن مسكويه على من يخشى الموت نتيجة مفارقة القنيات(المقتنيات) الدنيوية بأن عليه أن يــدرك أن الحزن هو تعجل آلم ومكروه على ما لا يجدي الحزن إليه بطائل، والإنسان من جملة الأمــور الكائنة، وقــد تبين في الآراء الفلســفية أن كل كائــن فاســد لامحالة، ومــن احب أن لا يتعرض للفســاد فقــد أحب ما لا يكــون، ومن احب مالا يكون فقد أحب فساد ذاته، فكأنه أحب أن يفســد وأن لا يفســد .وأحب أن لا يكون وأن يكون وهــذا محال لا يخطر ببــال عاقل .كذلك فأننا لــو فرضنا أنه لو لم يمت اســلافنا وآباؤنا لم ينتهِ الوجود إلينا، ولو جاز أن يبقى الإنســان لبقي من تقدمنا مــن الناس على ما هم عليه من التناسل، ولو لم يموتوا لما وسعتهم الأرض[٧٤].

لــذا أعطى مثــالاً حول ذلك جــاء فيه لو تم اختيار احد المشــاهير والذيــن كانوا موجودين قبل اربعمائة سنة، وهو بلا شك يشير إلى وقته وزمانــه .وهذا الشــخص فليكن علــي بن ابي طالب (ع)لغرض معرفة إحصاء أولاده وأولاد أولاده .وأنهم مازالوا موجودين يتناســلون فكم ســيكون عددهم .ســيكون أكثر من عشرة آلاف

ألف رجل أي ما يقارب (عشرة ملايين).وأننا لو جمعنا من كان في ذلك العصر من الاناس على بسيط الأرض المحدود المعروف، لما استطاعت الأرض أن تسعهم قياماً، فكيف لو تكلمنا عن قعودهم وتصرفاتهم، فلا يوجد عندها موضع يقبل للعمارة ولا للزراعة ولا للمسير ولا للحركة .هكذا ستكون النتيجة علماً أننا افترضنا بقاء بعض البشر ولمدة محدودة، وهي مدة يسيرة من الزمان .فكيف ستكون النتيجة لو قلنا بامتداد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة .وهكذا فعلى من يتمنى الحياة الأبدية للبدن، ويكره الموت ويظن أن ذلك ممكناً أو مطموعاً فيه من باب الجهل والغباوة، فإنه لو تحقق ذلك لكانت حاله كذلك حيث سيكون في مكان لا يسعه للحركة حتى[٧٥].

صفوة القول أن الموت حكمة إلهية، وهو الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير الإلهي، أنه الصواب الذي لا معدل عنه ولا محيص منه، انه غاية الجود الذي ليس وراءه غاية أخرى، لا طالب مستزيد أو راغب مستفيد .وان الخائف من الموت هو الخائف من عدل الباري وحكمته، بل الخائف من جوده وعطائه، وإلا فلموت ليس رديئاً كما يظنه جمهور الناس، بل الرديء هو الخوف منه .والذي يخافه هو الجاهل به وبذاته، إذ حقيقة الموت هي مفارقة النفس للبدن، وهذه المفارقة ليست فساداً للنفس، وإنما هي فساد المتركب .اما جوهر النفس فباقية .أنه باقٍ وأن كان ليس بجسم، ولا يلزم فيه ما لزم في الأجسام واعراضها، فلا يتزاحم في المكان ؛لإستغنائه عنه، ولا يحرص على البقاء الزماني ؛لإستغنائه عن الزمان . وإذا كان الإنسان في السابق محتاجاً للجسم والحواس فالغرض منها الحصول على الكمال، لغرض الوصول لمنازل الأبرار ودرجاتهم من رضوان الله وجنته التي هي دار القرار، ونيل السعادة القصوى، والخلاص من سخط الله، ودركات النيران التي هي الهاوية بلا قرار[٧٦].

وبهذا القدر من الأفكار انهى مسكويه حديثه عن اسباب الخوف من الموت، وبعد عرضها وإيضاح ردوده تجاه كل سبب سأتكلم عن افكار أخرى طرحها وهو في صدد الحديث عن الموت وبصورة عامة.

خامساً :- من جزع الموت إلى ضرورة الإقدام عليه

أشار مسكويه في كتاب الحكمة الخالدة إلى أقوال بعض الشخصيات التاريخية عند احتضارهم، إذ جمعت هذه الأقوال بين التآسي على المصير من جانب، وبين الفرح على ما عملوه في دنياهم من اعمال اتضحت لهم ثمارها في تلك اللحظات، من بشارات حسن الخاتمة[٧٧] للتذكير بأن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن من عمل بما يرضي الله نجا، ومن عمل بخلاف ذلك هلك .

وتكلم عن موضوع الجزع من الموت والاقدام عليه وهو في صدد الجواب عن السؤال الذي طرحه عليه أبو حيان التوحيدي حول سبب الجزع من الموت، وما الاسترسال إليه. فبيّن أن الجزع على ضروب، وكذلك الاسترسال، وأن بعضه محمود وبعضه مذموم ؛وذلك ان من الحياة ما هو جيد محبوب، ومنها ما هو رديء مكروه. فالجزع من الموت يكون مكروهاً في بعض الحالات، والاسترسال إليه يكون محبوباً، وفي حالات أخرى يكون العكس

يكون الجزع مكروهاً والاسترسال محبوباً

لمـن كانـت حياتـه مقترنـة بالآفـات العظيمة والمِهـن الهائلـة، والآلام الشـديدة، كتعـرض احدهم للسبي هو وأهله وأولاده، ويملكونهم قوم اشرار، حتى انه يرى من اهله وولده ما لا طاقة له به، ويسام في نفسه وجسمه ما لا صبر عليه .ويقع في الأمراض الشـديدة التي لا براء منها، والاضطرار إلى فعل القبيح بأصدقائه ووالديه، فهـذه الأمور كلها رديئـة وليس لأحد أن يختار العيـش فيها، إذ هكذا حياة مكروهة و يسـتحب فيها الاسترسال للموت[٧٨] بل هو أمر جيد .

اما إذا عكسـنا المسـألة فقلنـا أن من كانت لديهم الحياة محبوبـة لتنعمهم بالصحة واعتدال المزاج، ووجـود الكفاية من الوجـوه الجميلة، والتمكن بهذه الأشـياء من السـعي نحو السعادة القصـوى، وتحصيـل الصـورة المكملـة لهم، مـع مسـاعدة الإخـوان الفضلاء، وقـرة العين بـالأولاد النجباء والعز بالعشـيرة، واهل البيت الصالحيـن، فهـذه كلهـا محبوبـات، وعندهـا سـيكون الموت لديهم مكروهـاً ورديئاً بالمقابل ؛كونـه يمنعهم من تحصيل اسـتكمال السـعادة واتمام الفضيلة، والجزع في هذه الحالة سيكون واجبـاً .أضافة إلى ضرب آخـر مفاده ان البقاء بنفسهِ أمر مختار ؛لأنه وجود متصل، والوجود كريم شـريف، وضده العدم وهو رذل خسيس، والرغبة في الشيء الكريم واجبة، كما ان الزهد في الشيء الخسيس واجبه [٧٩].

لكن هذا الجزع الواجب والمستحب سيكون مكروهـاً عند من يرى أن هذه الحياة منقطعة لا محالـة، وأن هناك حياة أخـرى أبدية، ووجود سرمدي فعندها سيكون الموت ليس بمكروه إلا بقدر ما يكره من الدواء المر إذا أدى إلى الصحة .فالعلاج المؤلـم والداء الكريه مختاران بالذات إذا أديـا إلـى صحـة طويلة وسـلامة متصلة، فـإن لم يكونـا مختارين بالذات فهمـا مختاران بالعرض .فالإنسـان المسـتبصر الذي يرى أن أخـراه افضل من دنياه، وآجله خير من عاجله، يسترسل للموت كاسترسـاله إلى الدواء الكريه والعـلاج المؤلم ليفضي به إلـى خير دائم، وأن كان هـذا الاختيار بالعـرض لا بالذات، وربما ظن ذلك ظناً فحسـن أيضاً منه الاسترسال إليه، بحسـب قوة ظنه وما وقع إقناعه به كما يحسـن في الدواء إذا قوى ظنه بمعرفة واصفه له .فأما من خلا مـن هذا الاعتقـاد والظن القـوي فإنه يجزع من الموت ؛لأنه عدم ما، والعدم كما ذكر سـابقاً مهروب منه، وهذا سـبب صحيح وعلة ظاهرة[٨٠].

اضاف مسكويه أن الإنسان الذي قوى ظنه واسـتحكمت بصيرتـه في أمر عاقبتـه ومعاده وادرك أنـه لـم يقـدم ما يسـعد به، فإنـه يكره الموت ويجزع منه ولا يسترسـل إليه .وهنالك ضرب من البشر يسترسـل للموت على الرغم مـن جزعه منه وأبرز مثـال على ذلك ما يفعله اصحاب الأهواء المختلفة والديانات المتضادة، كبعض الهنود في تسـرعهم إلى احراق نفوسهم واقدامهـم علـى ضـروب المَثْـل والقتـل فـي ابدانهم[٨١].

ومثال آخـر الخوارج[٨٢] في حرصهم على الموت وبذلهم نفوسـهم في مواقفهم المشـهورة وحروبهـم المأثورة، حتـى أن الرجل منهم إذا طعن قنع فرسـه ليسـبح فـي الرمـح، وينتهي إلـى طاعنه، ثم يقـرأ قوله تعالـى : ((وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَـى))[٨٣] حتى اجبروا اصحاب السلطان ان يضعوا في صدور رماحهم حاجزاً لئلا يسبح فيها المطعون فيصل إلى الطاعن[٨٤].

وكمـا قـدم بـن مسـكويه نموذجيـن حول اصحاب الأهواء الذين يسترسلون للموت رغم جزعهم منه لظنهـم أن الموت ينفعهم للخلاص من المعاصي وتكفير الذنوب، نجده يشـير إلى نموذج آخر بيّن فيه ضرورة الاقدام على الموت وتحبيذ الاسترسال إليه، وكراهية الجزع فيه من الموت. ويتمثل بالدفاع الدين والمعتقد الصحيح فـي وحدانيـة الله تعالـى، والشـريعة التي هي سياسة الله وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والآخرة .والشـجاع هنا هو من يكون خوفه على حماية هذه الأمور أشد من خوفه من الموت .فهو إذا فكر في قصر عمره وعلم أنه لا محالة سيموت بعد أيام، وكان محباً للجميل ثابتاً على الرأي الصحيح، فإنه لا محالة سيحامي عن دينه ويمنع العدو من استباحة حريمه، والتغلب على مدينته، ويأنف من الفرار .واستشهد بكلام للإمـام علي (ع) لإصحابه : ((أيها الناس إن لم تُقتَلُوا تموتوا، والذي نفس ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من ميتة على الفراش))[٨٥].

هذه مجمل الأفكار التي قدمها مسكوية وهو فـي صدد الحديـث عن موضوع المـوت بين الجـزع والاقدام عليه والتـي يتضح منها أنه لم يحبذ الخـوف المفرط منـه أو الخوف في غير محلـه، وأن على العاقل والمؤمن أن لايخشـاه، بل في حالات كثيرة عليه الاسترسال إليه .

الخاتمة

يستخلص من هذه الدراسة نتائج عدة يمكن حصرها تباعا بما يلي :

-أكد مسـكويه أن الخوف حالة يمر بها الإنسان عندمـا يتعرض لأمـر يثير مخافتـه وهذا امر طبيعـي، ولكنه إذا تحول إلى خوف شـديد جداً نتيجـة توقع أمـر مكروه لم يحصـل بعد أو انه في حيز الإمكان، أي أنه يمكن ان يحصل أو لا يحصـل، فالمبالغة بالخـوف منه في هذه الحالة تعني الخـروج من حد الخـوف الاعتيادي إلى الخـوف كمرض نفسـي .والأمـر ينطبق على الخـوف مـن الموت أيضـاً والـذي يكون على ضربيـن :خـوف طبيعـي، وخـوف مرضي . الطبيعي يتمثل بالخـوف غير المبالغ فيه، اما المرضـي فهـو أن يتحـول خوف المـوت إلى كابـوس لا يفـارق الإنسـان اينما حـل فيجلب لـه فضلاً عن الخـوف، الهم والغـم والحزن، وعندها يجلب الآلام لنفسـه والتي تنعكس سلباً علـى صحتـه البدنيـة، فهكـذا خـوف مذموم ومرفوض و لا يليق بالعقلاء .

- علـى الذين يحلمون بالخلـود أن يدركوا أنهم يطمعـون بأمـر مسـتحيل تحققـه، وعليهم أن يدركـوا أن حد الإنسـان هو كائـن عاقل مائت .المـوت هو النهايـة الحتمية والموئـل النهائي الـذي لا مفر منه .والعقلاء هـم الذين لا يقعون ضحية لأسـر الخوف من الموت، إذ الموت ما هـو إلا مفارقة النفـس للبدن .والـذي يفنى هو الجسـد، أما النفس الناطقـة فخالدة .فالنفس هي الجوهر الحقيقي للإنسـان وليـس البدن، البدن مجرد وسـيلة ترتبط معه النفس لتنـال بأدواته وآلاته كمالها الخاص، وأن العلاقة بينهما علاقة عرضية أو علاقـة جوهر بأعراضه .فالجوهر

لا يزول، وما يزول هي الأعراض .

-احصى مسكويه الأسباب التي قدمها البعض لتبرير الخوف من الموت وحصرها بخمسة أسباب هي الظن بأن الذات أوالنفس تنحل بانحلال البدن، وتبطل ببطلان تركيبة .وان للموت المأ عظيماً سيحل بهم .وان عقوبة تنتظرهم بعد الموت على ما قدموه من اعمال .وان الموت هو الانتقال إلى مصير مجهول . والموت يعني الحرمان من اللذات التي اعتاد نيلها وهو حي .وبيّن مسكويه أن كل تلك الأسباب ظنون باطلة، ناتجه عن الجهل والفهم الخاطئ لحقيقة الموت، والجهل بالمعاد والحياة الآخرة .فلا النفس تنحل بانحلال البدن، ولا للموت آلاماً اعظم من آلام الامراض .وليس الموت هو التوجه نحو مصير مجهول، بل الانتقال نحو عالم الخلود، عالم التحرر من الماديات لنيل الثواب على ما قدم من اعمال في سالف الأيام عندما كانت النفس مرتبطة بالبدن في الحياة الدنيا .وعلى من يخاف الموت لتوقعه ان عقاباً سيحل به، فمن الأجدر به ككائن عاقل مريد مختار أن لا يرتكب الذنوب والآثام، وإلا ما الفائدة من خوفه العقاب وهو يعمل اعمالاً يستحق عليها العقاب .وهكذا إنسان في الحقيقة لا يخاف من الموت، بل يخاف العقاب، مثلما أن الذي يخاف الموت بسبب الألم أنه لا يخاف الموت، بل يخاف الألم .وكذا الأمر بالنسبة لمن يخاف المصير المجهول فأنه يخاف المصير لا الموت .أما الذين يخافون من فقد اللذات المادية لظنهم أنهم حصلوا السعادة من خلال امتلاكهم لبعض المقتنيات المادية والمعنوية، فكل هذه اللذات زائفة، وكل ما يسمونه سعادة جراء نيلها، إنما هي سعادة زائفة، وليست حقيقية ولا هي بالسعادة القصوى إذ السعادة الحقة تحصل عن طريق الفلسفة، ونيل علومها المختلفة بشقيها النظري والعملي .وتهذيب النفس لنيل الكمالات والكرامات .

- ميز مسكويه بين الجزع المحمود من الموت والجزع المذموم . فالإنسان المنعم المرفه والذي في حياته صلاح لنفسه ولغيره من حقه أن يجزع الموت، بينما يصبح الجزع مذموماً إذا كان الإنسان يعيش في ظل ظروف قاسية جداً لم يحضَ منها إلا اذيته واذية الغير، وعندها فلا يحق له أن يجزع ما دام الموت أفضل له من الحياة .

- أشار إلى موضوع الاسترسال للموت أي الاقدام عليه وفرق فيه أيضاً بين الأقدام على الموت المذموم، والاسترسال المحمود .يتمثل الأول بالقدوم على الموت من باب التكفير عن الذنوب وهذا ما يفعله بعض الهنود لإحراق اجسادهم من باب التطهير كما يعتقدون .وبقدوم الخوارج على الموت والذين وصلت الحال ببعضهم تحريك جواده عندما يطعن برمح ليسبح فيه ويخترق جسده ؛ليقتل قاتله، معتقداً أنه يتقرب إلى الله تعالى في ذلك . أما الاسترسال المحمود فهو الذي مثله العقلاء والفلاسفة والحكماء والمؤمنون الحقيقيون الذين يضحون بالنفس للدفاع عن الدين والعقيدة والشريعة والقيم الفاضلة والمبادئ النبيلة .وبيّن أنهم لا يكترثون للموت ولا يقعون ضحية خوفه.

- من خلال كلام ابن مسكويه حول موضوع الموت يتضح أن آراءه كانت مزيجاً من آراء بعض الفلاسفة اليونان والمسلمين، فضلاً عن إفادته من التاريخ الإنساني ليقدم توليفة فلسفية سايكلوجية لموضوعٍ مهمٍ أو لمشكلة من المشكلات الفلسفية وهي مشكلة الموت و الخوف منه.

الهوامش

(١) رجب عبدالله،د.إبراهيم – كاظم، م.م.وفاء، الموت والخوف منه عند فلاسفة اليونان والإسلام، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الرابع، المجلد الأول لسنة ٢٠٠٩،ص ٥١٤.

(٢) سفر التكوين ١٦/٢-١٧.ضمن الكتاب الشريف (التوراة المزامير وصحف الأنبياء والانجيل الشريف)،دار الكتاب الشريف، بيروت، ٢٠٠٧.ص٢-٣.

(٣) يُنظر سفر التكوين ١/٣-٧،ص٣.

(٤) يُنظر جيمس ب كارس، الموت والوجود دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي والعالمي، ترجمة بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، ٢٩-١٩٩٨،ص٢٢٣.

(٥) سورة الأعراف، الآيات ١٩-٢٠-٢١.

(٦) سورة الأعراف، آية ٢٤-٢٥. وورد في سورة طه، آية ١٢٠أيضاً قوله تعالى : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)).

(٧) مبروك، د. أمل، فلسفة الموت دراسة تحليلية، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١،ص٣٤.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٦.

(٩) عبد الخالق، د. أحمد محمد، قلق الموت، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١١١،مارس، ١٩٨٧،ص ٣٩.

(١٠) مبروك، د. أمل، فلسفة الموت دراسة تحليلية، ص ٣٦-٣٧.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(١٢) جيمس، ب، كارس، الموت والوجود في التراث الديني والفلسفي والعالمي، ص ١٩-٢٠-٢١.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٥١.

(١٤) عبد الخالق، د.أحمد محمد، قلق الموت، ص ٣٩.

(١٥) موضوع الموت من الموضوعات المهمة التي شغلت فكر اغلب الفلاسفة الوجوديين سواء أكانوا مؤمنين أو ملحدين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر سورين كيركجارد (١٨١٣م-١٨٥٥م) والفيلسوف الألماني كارل تيودور ياسبرز (١٨٨٣م-١٩٦٩م)والفيلسوف الفرنسي غابريل مارسيل (١٨٨٩م-١٩٧٣م)ومارتن هيدجر (١٨٨٩م-١٩٧٦م).وغيرهم .حول آراء ياسبرز ومارسيل يُنظر مثلاً مبروك، د. أمل، فلسفة الموت، الصفحات من ٩٧إلى ص ١٠٩.

(١٦) يُنظر مبروك، د.أمل، فلسفة الموت،ص ١١٥-١١٦-١١٧.

(١٧) يُنظر كيركجارد، سورين، المرض طريق الموات –عرض مسيحي نفسي للتنوير والبناء، ترجمة د. اسامه القفاش، نشر وتوزيع مكتبة دار الكلمة LOGOS،القاهرة، ط ١، ٢٠١٣، ج٢، ص ٢٣.

(١٨) يُنظر هيدجر، مارتن، نداء الحقيقة، ترجمة وتقديم ودراسة د.عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧،ص ٩١.

(١٩) عبد الخالق، د.أحمد محمد، قلق الموت، ص ٤٠. وحول ابرز المقاييس للموت ظهر مقياسان هما مقياس بوبار، ومقياس تمبلر لقياس الخوف من الموت . يُنظر المصدر والصفحة نفسهما.

(٢٠) كريفن، ديفد راي، الباراسايكلولوجي والفلسفة والروحانية، ترجمة كاظم سعد الدين، مراجعة د. الحارث عبد الحميد – واسيل عبدالرزاق، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢،ص ١٩٢. اشار كريفن إلى بعض الأمثلة حول تواصل الاحياء مع الأموات عبر الوسطاء .يُنظر المصدر نفسه ، ص ٦٧-٦٨- كذلك الصفحات من ٢٠٢ إلى ص ٢١٢.

(٢١) يُنظر دراسة وتحقيق الهلالي، عماد لكتاب أبن مسكوية أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ،تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط١،١٤٢٦هـ، مطبعة سليمان زاده، قم، الناشر طليعة النور، ص ١٧-١٨.

(٢٢) التوحيدي، أبو حيان ومسكويه، الهوامل والشوامل، تقديم أ. د. صلاح رسلان، نشره أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، سلسلة الذخائر ، ٦٨، ب ت، ص ٦.

(٢٣) فرّوخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام

أبـن خلـدون، دار العلـم للملايين، بيـروت، ط٤، ١٩٨٣،ص ٣٢٥.وأضاف فـرّوخ أنه على ما يبدو قـد خدم أبا محمد الحسـن المهلبي الـذي وزر لمعز الدولة سـنة ٣٣٩هـ والذي توفي سـنة ٣٥٢وبناءاً على هذا الرأي لا يمكن أن يكون ابن مسكويه قد ولد بعد سنة ٣٣٠هـ .المصدر والصفحة نفسهما . وكلمة علـى ما يبدو التي اسـتعملها فـرّوخ تعبر عن رأي محتمل وليس الاسـتنتاج قطعيـا لتجعلنا نعيد النظر في تاريخ ميلاد مسكويه.

(٢٤) أكـد الباحث محمد لطفي جمعة أن مسـكويه كان مجوسـياً واسـلم، و أنه مـن ابناء الفرس الناشـئين بين احيـاء العرب، والذين كانـوا يتولون الوظائف والمناصـب فـي الدولة الإسـلامية .جمعـة، محمد لطفي، تاريخ فلاسـفة الإسـلام – دراسة شاملة عن حياتهـم واعمالهـم ونقد آرائهم الفلسـفية، مؤسسـة هنـداوي للتعليـم والثقافـة، القاهـرة، ٢٠١٣م،ص ٣٠٥.

(٢٥) القفطي، جمال الدين أبو الحسـن علي بن يوسف الوزيـر (٥٦٨ هـ-٦٤٦هـ)،تاريـخ الحكمـاء (وهـو مختصـر الزوزنـي المسـمى المنتجـات الملتقطات من إخبـار العلماء بأخبار الحكمـاء، تحقيق يوليوس ليبرت، ترجم حواشـيها ومقدماتها واضاف إليها د. محمد عوني عبـد الرؤف، مكتبـة الآداب، القاهـرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٣٣١.

(٢٦) ابـن ابـي اصيبعـة، عيـون الأنباء فـي طبقات الأطباء، ص٢٨٨. نسـخة الكترونيـة، مكتبة المصطفى الإلكترونيـة .To PDF:http://www.al-mostafa. com

(٢٧) فـرّوخ، عمر، تاريخ الفكـر العرب إلى أيام ابن خلدون، ص ٣٢٥.

(٢٨) أبـن أبـي أصيبعـة، عيـون الأنباء فـي طبقات الأطباء، ص ٢٨٨.

(٢٩) القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣٠) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٣٢.

(٣١) أشار التوحيدي إلى انشغال مسكويه بابن الخمار وانه شـاهد ابا سليمان وليس له فراغ، وصاحب ابن العميد أبا الفضل ولم يستفد منه ؛كونه مشغولاً بطلب الكيميـاء مع ابي الطيـب الكيميائي الرازي، كما أنه لم ينتفع من أبي الحسـن محمد بن يوسـف العامري الفيلسـوف المعاصر لأبن سينا على الرغم من بقائه خمـس سـنين يجمع فيهـا ويدرس ويملـي ويصف ويروي، فلم يأخذ منه مسـكويه ولا كلمة واحدة،ولم يعي مسـألة .وكأن بينه وبين العامري سداً، حتى أنه ندم فيما بعـد على ذلك وتعـرض لملامة الأصدقاء . يُنظـر التوحيدي، أبو حيـان (ت٤٠٠هـ)الإمتاع والمؤانسـة، أعتنى به وعلق عليـه محمد الفاضلي، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ج١، ص ٣٠-٣١.

(٣٢) التوحيـدي، أبـو حيـان ، الإمتـاع والمؤانسـة، ج١،ص ٣١.

(٣٣) يُنظر فخري، د. ماجد، تاريخ الفلسفة الإسلامية، نقلـه من الانجليزية إلى العربيـة د. كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤،ص ٢٦٩.

(٣٤) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٢٩٩.

(٣٥) ميّـز فرويـد (١٨٥٦م- ١٩٣٩م)بيـن القلـق والخـوف .الخـوف ردة فعـل تجاه خطـر حقيقي، بينمـا القلـق ردة فعل تجـاه خطر وهمي . باسـتيد، روجيه، السوسـيولوجيا والتحليل النفسـي، ترجمة وجيه البعني، دارالحداثه للطباعة والنشر والتوزيع، بيـروت، ط١، ١٩٨٨،ص ١٥٩.وعـرّف الدكتور جـون كينيدي، القلق بأنه : (اضطراب الذهن لعجزه عـن التعبير عن حقيقته بعمـل آني) واعلن بأن هذا ابسـط وابلغ تعريف من وجهة نظره ؛لإحتوائه على صـورة حيه هـي الاضطراب وما فيـه من حركة، كاضطراب المنشار عند القطع، فهو دائماً في حركة إلى الأمام وإلى الخلف، وتكون تلك الحركة مصحوبة بذلك الصوت المزعج .وذلك يظهر شـديد المطابقة لصورة العقل حيـث يكون العقل في اضطراب دائم إلـى الأمـام وإلى الخلـف، إذ يجتاح المرء شـعور خشـن يسـبب اضطراباً لأعصابه .كنيدي،د.جون، القلق أسـبابه وعلاجه، ترجمة واضافة أ. د. إبراهيم مهدي الشبلي، ط٣ مزيدة ومنقحة، دار الأمل للنشر

والتوزيع الأردن ٢٠٠١-٢٠٠٢،ص ١٩-٢٠.

وفـرق العلماء بيـن القلق الاعتيادي أو السـوي أو القلق الفيزيولوجي الوظيفي كما اسماه الأطباء النفسيون، وهذا القلق ينتج عن وقوع موقف خارجي أو داخلي يُعـزى إلـى موقـف محدد كقلـق الطالب مثـلاً قبل الامتحان أو قلق الأب حال مرض ابنه مثلاً .ويقابله القلق العصابي أو الباثلوجي والمرضي كما يسمونه الاطباء النفسيون، ومن خصائصه أنه خوف مزمن من أشـياء أو اشـخاص أو مواقـف لا تبرر الخوف منهـا بصورة طبيعية أو لسـبب واضح، ويعبر عنه بالقلق الهائم الطليق أو الشـامل ؛كونه يتخلل جوانب كثيرة من حياة الإنسـان. يُنظر عبد الخالق، د. أحمد محمد، قلق الموت، ص ٢٧-٢٨.

(٣٦)أبن مسـكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٣٧) ذكر ابن مسـكويه مثالاً حـول الواجب والممكن والممتنع جاء فيه أنه شبههم بخط مستقيم يتكون من ثلاث نقاط أ ب جـ .أ رمز للواجب .وب للمتنع .و جـ للمكن .ونقطة جـ بعدها من أ ب بعد واحد، إذ له إلى كل نقطة جهة فإذا تحقق الأمر فعلاً زالت عنه صفة الامكان نحو الوجوب ، وممكن أن يضاف إلى أحد الجهتيـن أما إلى الواجب أو إلى الممتنع .وأنه مادام ممكنـاً لا يصـح أن يحسـب لا من هـذا الجانب ولا مـن ذاك الجانب، بل نعتقد فيـه طبيعته الخاصة به، وهـو أنه يمكـن أن يصير إلى ههنـا أو إلى هناك . المصدر نفسه،ص٣٠٠.وما أراه كان الأفضل لأبن مسـكويه أن يرمـز للممكن بالنقطـة ب بدلاً عن جـ لتكون وسطاً بين الواجب والممتنع، وتكون المسافة متساوية من جهتي أ وب .وربما هو فعل ذلك، ولكن بسبب خطأ الناسخ حصل ذلك الأمر .

(٣٨) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٠.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٤١) انقسـم الباحثـون حيال الخوف مـن الموت على قسـمين : قسـم أكـد أن الخوف من المـوت فطري قبلي سـابق على الملاحظة والتجربة الاسـتقرائية، أذ يـدرك الإنسـان حقيقة أنه سـيموت حتى لو كان هو الوحيد في العالم، وإن لم يتسـنَ له رؤية كائنات أخرى قد تحولت إلى جثة، وأبرز من مثّل هذا الرأي مكسر شلر .وقسم أكد أن الخوف مكتسب إذ سيعرف الإنسـان أنه معرض للفناء من خلال موت الأخرين أو بعبـارةٍ أخرى أنه يـدرك موته من خلال تجربة خاصة بالمـوت كموت صديق مقرب لـه، وهذا ما ذهـب إليـه مثلاً لاند سـبيرج .يُنظر جاك شـورن، المـوت في الفكـر الغربـي، ترجمة كمال يوسـف حسـين، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، سلسـلة عالم المعرفة، الكويت، ابريل، ١٩٨٤،ص ١٨-٢٠.

(٤٢) حـدد المهتمـون بموضـوع القلـق مـن الموت والخـوف منـه نوعين من القلق: قلـق مزمن، وقلق حـاد .الأول كالمرض الـذي طالت مـدة مكثه لدى المريـض وداوم فترة طويلـة، وانه يرتبـط ايجابياً وبشـكلٍ طـردي ودرجة العصبية لدى الإنسـان أي كلما كان الإنسـان يعاني من أمراض عصبية، كلما زادت لديه حدة وشـدة الخوف من الموت .اما النوع الثانـي أي القلـق الحاد فيظهر خـلال زمن قصير، ويرتبط بخبرات الحياة الواقعية لدى الإنسان كموت قريب له مثلاً أو تعرضه لمرضٍ شـديدٍ يجعله يتوقع موتـه فيثير خوفه .يُنظر عبد الخالق، د.أحمد محمد، قلق الموت، ص ١٩.

(٤٣) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٣٠٢.

(٤٤) يُنظر الطوسـي، الخواجة نصيـر الدين، أخلاق ناصري، ترجمه عن الفارسـية ووضع الدراسـات والتحليلات العلميـة د. محمد صادق فضل الله، دار الهادي للطباعة والنشـر والتوزيـع، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٤٥) أبن مسكويه، أبو علي أحمد المتوفى سنة ٤٢١هـ، كتاب الفوز الأصغر، طبع على نفقة مصطفى فهمي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ، ص ٤٥.

(٤٦) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٢-٣٠٣. أكـد أبن مسـكويه أهمية المنطق بوصفه آلة يفرق بها بين الحق والباطل في الأمور، وبين الصـدق والكذب في الأقاويـل .وأن هذه الآلة

جُعِلت عياراً قانونياً فيما يسلك من طريق النظر .أبن مسكويه، الفوز الأصغر، ص ٦٠.واضاف أن المنطق يمنح الذهن قوة التمييز إذ يعرف مراتب الاقناعات، وتصحيح الآراء في كل موجود على ما ينبغي ولا يمكن غيره .أبن مسكويه، السعادة لأبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، تقديم الأستاذ المطلع الشيخ السيد علي الطوبجي السيوطي، المطبعة العربية بمصر، المكتبة المحمودية التجارية،ط٢،١٣٤٦هـ-١٩٢٨م، ص ٤٦. ومما يراه مسكويه أيضا حول المنطق أن الإنسان بما أنه لا يخلو من حالة أن ترد اشياء على عقله فيتوهم في شيء أنه حق، وفي أخر أنه باطل، فالمنطق هو الذي يدله على هذه المواضيع ويصحح له الصحيح، بل ويعلمه لِمَ صار صحيحاً، ويُزيف الباطل ويريه لما صار باطلاً .وهكذا فنحن مضطرون إلى تصحيح المعاني في انفسها، صناعة تنفي بما يحوطنا من الغلط، وإلى تصحيح الألفاظ التي تدل بالمواطأة على تلك المعاني لئلا يعترض لغيرنا ما يغلطه فيها، وكلتا هذين يسمى صناعة المنطق، إلا أن أحدهما ينظر فيه بالذات، والآخر بالعرض .المصدر نفسه، ص ٥٢-٥٣.وأشار إلى بعض كتب أرسطو(٣٨٤ق.م-٣٢٢ق.م)بالمنطق ودعا إلى ضرورة معرفتها كمعرفة الأقيسة اليقينية والظنية والمغالطية والمقنعة والمخيلة، والبرهان، والجدل والسفسطة .يُنظر المصدر نفسه، الصفحات ٥٣-٥٤-٥٥. وحتى أبو حيان التوحيدي والذي بيّنا أنه نقد أبن مسكويه نجده عند الحديث عن ابن مسكويه يذكر أنه أعطاه صفو الشرح لإيساغوجي وماميغورياس من تصنيف صديقه في الري أبو القاسم الكاتب، غلام أبي الحسن العامري، الفيلسوف المعاصر لأبن سينا وأنه صححه معه .التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ص ٣٠-٣١.

(٤٧) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،ص ٣٠٣.

(٤٨) المصدر والصفحة نفسهما.

(٤٩) أبن مسكويه، كتاب الفوز الأصغر، ص ٤٤-٤٥. أكد مسكويه أن النفس الناطقة من الإنسان هي الباقية الدائمة .المصدر نفسه، ص ٤٥.ومأود ذكره أن ابن مسكويه واثناء حديثه عن النفس والبدن قد أخذ من الناحية الفلسفية من أفلاطون فكرة خلود النفس حيث أشار لثلاث حجج حول بقاء النفس بعد الموت هي : الأولى ان النفس تعطي كل ما توجد فيه الحياة . والثانية ان كل فاسد إنما يفسد من قبل رداءة فيه .والثالثة ان النفس متحركة من ذاتها .يُنظر ابن مسكويه، كتاب الفوز الأصغر الصفحات من ٤٦ إلى ٤٨.ولمزيد من التفصيل حول ما ذكره من أدلة الحكماء حول بقاء النفس يُنظر المصدر نفسه الصفحات من ٤٩ إلى ص ٥٣. وأخذ من أرسطوطاليس (٣٨٤ق.م-٣٢٢ق.م)فكرة التركيب الثنائي للإنسان من بدن ونفس، وأن النفس وان ارتبطت بالبدن فأنها افضل منه، إذ النفس هي التي تمد البدن بالحياة، والحياة فصل بين ذي النفس وما لا نفس له. يُنظر طاليس، أرسطو، المقالة الثانية من كتاب النفس، ضمن كتاب ارسطو طاليس في النفس، راجعها على اصولها اليونانية وشرحها وحققها وقدم لها عبد الرحمن بدوي، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤،ص ٣٢.وعرف عن ارسطو تعريفه للنفس (بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة) أي انها كمال الشيء الذي يكون فعلاً .يُنظر ابواب المقالة الرابعة من كتاب فلوطرخس في الآراء الطبيعية، ضمن الكتاب نفسه، ص ١٥٧.

(٥٠) T.J.Debore، The History of philosophy in Islam، Translated by Edward R.JonesCosmo publication – New Delhi.١٩٣٣.p١٢٩.

(٥١) أبن مسكويه،كتاب الفوز الأصغر، ص ٧٣.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.

(٥٣) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٥٤) أبن مسكويه، كتاب الفوز الأصغر، ص ٥٩.

(٥٥) أبن مسكوية، السعادة لأبن مسكوية في فلسفة الأخلاق، ص ٤٢-٤٣.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٤٦-٤٧.

(٥٧) يُنظـر المصدر نفســه، الصفحات ٥٣-٥٤-٥٥-٥٨-٥٩.

(٥٨) مفهوم التعاليم استعمله الفلاسفة المسلمين للإشارة إلى العلـوم الرياضيــة التعليمية، ويشـمل بالدرجة الأســاس العـدد والهندسـة والنجـوم والموسـيقى، علاوة علــى أضافة علـوم أخرى من قبـل البعض .فجماعة إخوان الصفاء مثلاً أضافوا إلى العلوم التي ذكـرت علم الجغرافيا، والصنائــع النظرية العلمية، والصنائــع العملية والمهنية،وبيــان اختلاف أخلاق الناس وبعض الموضوعات المنطقية كأيســاغوجي (الألفــاظ الســتة)،وقاطيغورياس (الألفاظ العشــرة)،وباريمانيــاس (العبارة)،وانولوطيقــا الأولــى (القياس)،وانولوطيقــا الثانيــة (البرهان).وأطلــق الإخــوان على كل هذه الرســائل تســمية الرســائل الرياضيــة والتعليميــة والفلســفية .يُراجع فهرســت رسائل إخوان الصفاء، ضمن رسائل إخوان الصفاء وخــلان الوفــاء، ت بطرس البســتاني، دار صادر، بيروت، ط ٢٠٠٤م،ج١، الصفحات من ٢١إلى ص ٢٦.

(٥٩) أبن مســكوية، الســعادة لأبن مســكويه في فلسفة الأخــلاق، ص ٦٠-٦١.أضــاف مســكويه أن هــذه المرحلة يعسر تصورها ؛كونها بعيدة عن ما نشاهده ونعتــاده، إذ لا يمكــن النطق بهــا أو تبيانها بالأمثال المحاكية، ومع ذلك فأنه عمل فيه كلاماً اجتهد فيه ما يلوح بحضرته، وكرر فيه طرفه واســتدعى ما يليه، وأنه عمل أن له موقعاً حمله أولاً بمشــيئة الله وعونه . المصدر نفسه، ص ٦١.

(٦٠) أبن مسكويه، كتاب الفوز الأصغر، ص ٦٢-٦٣.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٦٢) يرى مسكويه أن السعادة المظنونة عامة تقع على الإنســان، والبعض ينسبها للبهائم أيضاً كونها تطلق على المأكل والمشرب وضروب الراحات، والواقع أنها ليســت من السعادة في شــيء ؛لأن السعادة أمر خــاص بالإنســان .وســعادة الإنســان علــى نوعين :عامــة يشــترك بها عامــة النــاس .وخاصة تخص بعض البشــر، اضافة إلى وجود ســعادة من صفتها أنهــا خاصة بالخاصة، وهكذا ســعادة هي التي تمثل الغــرض الأخير والكمــال الأقصــى وأن كل أنواع الســعادات مــن أجلها .أبن مســكويه، الســعادة لأبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، ص ٣٦. وأضاف أيضاً وأما السعادة العامة عند البشر كما يرى هي السعادة النابعــة عن الروية والتمييز على ما يقســطه العقل، وهكذا ســعادة يتفاوت الناس فيها كلٍ حســب مقدار شــعوره بالحســن والقبح، وتحصيل منازل الفضائل والرذائــل، ومراتــب الحمــد والذم، إذ تقال بنســب متفاوتة حســب مراتب الناس .أما الســعادة الخاصة بحسب إنســان إنسان فهي التي تخص صاحب العلم أو الصناعــة الفاضلــة، وهي متفاوتة أيضــاً بينهم، حســب مراتبهــم في العلــوم والصناعات، وحســب الأفعــال التــي يصدرون بها أفعالهــم على ما يوجبه الرأي والتمييز . المصدر نفسه، ص ٣٧-٣٨.

أما عن الســعادة التي ترتبط بالنفس والبدن فأكد أن هناك ســعادة خاصة بالنفــس وتتمثل بالعلــوم والمعارف والحكمة، وهي أفضل الســعادات ؛لأنها تراد لذاتها لا لشــيء أخر .والسعادة الخاصة بالبدن والتي تقسم على قســمين :سعادة في البدن، وأخرى خارج البدن .ســعادة البــدن تتمثــل بالجمــال واعتــدال الصحة، وصحــة المــزاج، وهذه قد تــراد لنفســها، وقد تراد لغيرها أي بمعنى أن تتم بها أفعال النفوس وفضائلها .أمــا التــي خــارج البــدن فتشــمل الأولاد النجبــاء والأصدقاء، واليســار والشــرف والكرامات . يُنظر المصدر نفسه، ص ٤١.

(٦٣) الشــفاء بالفلســفة من خوف المــوت فكرة قدمها أبيقــور (٣٤١ق.م-٢٧٠ق.م)إذ أكــد أن الإنســان يستطيع الشــفاء من خوف الموت بالفلسفة، فكما أن الــدواء لا فائدة فيــه أن لم يطرد الــداء من امراض البــدن، كذلك الفلســفة لا فائدة لهــا إذا لم تطرد الألم والعــذاب من الذهن .ومــن أفكاره أن الفلســفة وأن لــم تســتطع أن تجعل الــروح خالدة، فأنها تســتطيع أن تشــفينا من الخوف .يُنظر جيمــس، ب، كارس، الموت والوجود دراســة لتصورات الفناء الإنســاني في التراث الديني والفلسفي العالمي، ص ٥١.

(٦٤) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٦٥) المصدر نفسه،ص٣٠٤.

(٦٦) المصـدر نفسـه، ٣٠٥. إن أفلاطون عندما حث طـلاب الحكمة باختيار المـوت الارادي قد تأثر بلا شـك باسـتاذه سـقراط .فعند الاطلاع على محاورة كريتون مثلاً نجد أن كريتون لما دخل على سـقراط فجراً ونقل له خبر قدوم السـفينة مـن دلوس، وأنها سـتصل في هذا اليوم، وعليه سيكون يوم غداً موعد اعدامه .وعلى الرغم من مناشدته لسقراط بالهروب مـن السـجن حفاظـاً علـى حياتـه، ورفقـاً بمحبيه واصدقائه، حتى أن كريتون اعرب له عن استعداده بدفع المال للمدعين عليه ليتنازلوا، وأنه سيهربه إلى صقلية ويوصي بمن يرعاه هناك، وأنه على استعداد للتضحيـة بممتلكاته والمخاطرة بحياته من أجله، إلا أن سقراط رفض الهروب .وحاول كريتون استمالة مشـاعره وعواطفه من خلال سؤاله لماذا تقدم على المـوت وتترك اطفالك يتامى ؟ لماذا لم تقرر العيش وتربيهم التربية التي تريدها ؟ لماذا تتركهم للمجهول ؟لماذا لا تتحلى بالشـجاعة وتهرب من سجنك، فعدم الهـروب والاسـتلام لا يليق برجـلٍ مثلك عاش من أجـل الفضيلة ؟فرد سـقراط على تلك الأسـئلة بأنه رجـل يحكم العقل مهمـا كان السـبب، ولا يريد ان يتخلـى عن المبادئ والقيم التي رسـخت في نفسـه ورسـخها في نفوس الآخرين، وأنـه يقدس ويحترم تلك المبادئ، وأنه على استعداد لتحمل ما يلاقيه من سـجن أو موت أو فقدان للمال مـرات عديدة .ينظر أفلاطـون، كريتون، المحـاورات الكاملة، نقلها إلى العربية داود شـوقي تمراز ، الاهلية للنشروالتوزيع، بيـروت، ١٩٩٤،مج ٣،الصفحـات من ٣٢٧-إلى ص ٢٣٢.

(٦٧) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٥٣-٥٤.وضـح مسـكويه أنـه فـي دعوته إلى ضـرورة قمع الشـهوات والابتعاد عـن الميل للدنيا ودواعيهـا، أنـه لم يقصـد من ذلك الـكلام أن يترك الإنسـان الدنيـا جملة، ولا الاضـراب عن عمارتها دفعة، وهذا رأي من لا يعلم كيف موضع العالم، ولا يدري ان الإنسـان أيضاً خُلق مدنياً بالطبع أي انه لا يستغني في بقائه عن المعونات الكثيرة من الأخرين، وأنـه يعين غيره كما يعينوه لتتـم الحياة الصالحة له ولهم .المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٦٨) يرى الكندي أن الموت ليس رديئاً، بل الرديء هو الخوف منه، فالموت هو تمام لطبعنا، إذ حد الإنسان هـو الحي الناطق المائت .والحـد مبني على الطبع، وعليـه فإذا لـم يكن موت لـم يكن إنسـان .الكندي، يعقوب بن اسـحاق، رسـالة الحيلة لدفـع الأحزان، مخطوط أيا صوفيـا رقم ٤٨٣٢(ورقة ٢٣أ-٢٦ب) ص ٢٨.الموقـع الإلكترونـي ،document http:w.w.w.scribd.com

(٦٩) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٤-٣٠٥.

ترحمة بتصرف (70)

Oliver Leaman، Ibn Miskawayh، Article in the book-History of Islamic philosophy، Edited by Seyyed Hossein Nasr and Oliver Leaman، bublisher، Ansariyan publication –New edition 2008، Qum، p 255.

(٧١) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٦.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٧٣) الـرازي، أبـو بكر محمد بن زكريا، كتاب الطب الروحانـي، ضمن كتاب رسـائل فلسـقية مضـاف إليها قطعـاً من كتبه المفقودة، منشـورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣ ، ١٩٧٩،ص ٩٥-٩٦.

(٧٤) أبن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

(٧٧) أشـار مثلاً لعبد الملك بن مروان إذ قال: ((ليتني كنت غسـالاً اعيش بما اكسب يوماً بيوم)).ولما بلغ قوله أحد الغسـالين وكان اسـمه ابو حازم فقال : ((الحمد لله الـذي جعلهم عند الموت يتمنـون ما نحن فيه، ولا نتمنى عنـد الموت ماهـم فيه)) ولما ثقلت حالة مروان سـألوه كيف تجدك يـا أمير المؤمنين فأستشـهد بقوله تعالى في

الآية الرابعة والتسعون من سورة الأنعام ((وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُـرَادَى كَمَـا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَـا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ)). مسـكويه، أبو علي أحمد بن محمد، الحكمة الخالـدة (جاويـدان خرد)حققـه وقـدم له عبـد الرحمن بدوي، ملتزم الطبع والنشـر، مكتبـة النهضة المصرية، ١٩٥٢،ص ١٧٤-١٧٥.وأشـار أيضـاً لأبـي سـليمان الداراني، وهشـام بن عبد الملـك، وحذيفة، وأبو الدرداء .فأما الداراني فقال : ((ان الرجل ينقطع إلى بعض ملوك الدنيا فيرى أثر هم عليه .فكيف من ينقطع إلى الله تعالى)) .واما هشام فأنه عندما نظر لأهله يبكون قال لهم : ((جاء هشـام لكم بالدنيا، وجدتم لـه بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم له ما حمل، ما اعظم مصيبة هشـام ان لم يرحمه الله)).وقـال حذيفة : ((حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، الحمد لله الذي سبق بي الفتن، أليس بعدي ما أعلم)) .وقال أبو الدرداء : ((من يعمل لمثل مضجعي هذا ولمثل سـاعتي هذه !بلغ من خدع الناس أن جعلوا شـكر مودتي تجـارة عند الأحيـاء، والثناء على الغائب اسـتمالة لقلب الشاهد))المصدر نفسه، ص ١٧٥-١٧٦.

(٧٨) التوحيـدي، أبـو حيـان ومسـكويه، الهوامـل والشوامل، ص ٧٢-٧٣.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٧٤-٧٥.

(٨١) ورد عـن بعـض الهنـود المتطرفيـن إذا عرف احدهم بأنه قد تدنس بالذنوب فأنه سـوف يلقي بنفسه في النار من بـاب التزكية للنفس والتطهيـر للبدن وتخليص للروح .يُنظر الشهرستاني، الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم المتوفـى ٥٤٨هـ،الملل والنحـل، صححه وعلق عليه الأسـتاذ أحمـد فهمي محمـد، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط٧، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ج٣، ص ٧٣٠.

(٨٢) الخـوارج هـم الذيـن خرجوا علـى الإمام علي بـن ابي طالب (ع)فـي حرب صفين، وكان من اشـدهم خروجاً ومروقاً عليه من الدين الأشعث بن قيس، ومسعر بن فدكـي التميمي، وزيد بن حصـن الطائي .وهم الذين خاطبـوا الإمـام علي قائليـن ((القوم يدعوننـا إلى كتاب الله، وأنـت تدعونـا إلى السـيف .حتى قال:انـا اعلم بما في كتـاب الله أنفروا إلى بقية الاحـزاب، انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله، وانتم تقولون صدق الله ورسوله .قالوا لترجعن ابن الأشتر عن قتال المسلمين وإلا لنفعلن بـك فعلنا بعثمان .فاضطر إلى رد الاشـتر، بعد ان هزم الجمع وولوا مدبرين، وما بقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة، فأمتثل الاشتر أمره، واجبره الخوارج على التحكيـم .وكان عليـاً يريد أن يبعث ابـن عباس وحملوه على بعث ابي موسى الاشعري على ان يحكما بكتاب الله .فجـرى الامر على خلاف مارضي بـه، فلما لم يرضَ بذلك خرجت عليه الخـوارج، وقالوا لمَ حكمت الرجال، لا حكم إلا لله . وكبار فرق الخوارج ستة هم : الأزارقة، والنجـدات، والصفريـة، والعجـاردة، والأباضيـة، والثعالبة، والباقون فروع لهم .يُنظر الشهرسـتاني، الملل والنحل، ج١، ص١٠٦-١٠٧.

(٨٣) سورة طه، آية ٨٤.

(٨٤) التوحيـدي، أبـو حيـان ومسـكويه، الهوامـل والشوامل، ص ٧٥-٧٦.

(٨٥) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ١٩٥-١٩٦. ورد هـذا القـول للإمـام علي (ع) في ساحة الحر ب بصفين .يُنظر الخطبة ١٢٣- نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسـه العلمية، د.صبحي الصالح، دار الكتـاب المصـري، القاهـرة، دار الكتـاب اللبناني، بيـروت، ط٤، ١٤٢٥هــ٢٠٠٤م، ص ١٨٠.ومثلمـا ذكر ابن مسـكويه نصـاً للإمام علي يحـث فيه اصحابه على القتال في صفين نجده يستشـهد بكلام أخر لأصحابه وبنفـس المعركة يوصي فيه اصحابـه بالرفق بخصومة حال النصـر عليهم ومنها تلك الوصيـة ((إذا قاتلتموهم وهزمتموهم فلا تقتلوا مدبـراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشـفوا عـورة، ولا تمثلـوا بقتيل، فـإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سـراً، ولا تدخلـوا داراً إلا بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من اموالهم، إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا أمرأة بأذى، وان شـتمت اعراضكم وسـبين امراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعيفات القوى)) مسـكويه، أبـو علي احمد بن محمـد بن يعقـوب المتوفى ٤٢١هـ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سـيد كسروي حسن، منشـورات محمد علـي بيضـون، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٢م،ج١، ص ٣٣٣.

المصادر والمراجع

أولاً العربية

القرآن الكريم

- الكتاب الشريف (التوراة المزامير وصحف الأنبياء والأنجيل الشريف)،دار الكتاب الشريف، بيروت، ٢٠٠٧.
- إخوان الاصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ت بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط ٢٠٠٤م .
- ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نسخة الكترونية، مكتبة المصطفى الإلكترونية To PDF:http://www.al-mostafa.com

-أفلاطون، كريتون، المحاورات الكاملة، نقلها إلى العربية داود شوقي تمراز، الاهلية للنشروالتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.

- باستيد، روجيه، السوسيولوجيا والتحليل النفسي، ترجمة وجيه البعني، دارالحداثه للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- التوحيدي، أبو حيان (ت٤٠٠هـ)الإمتاع والمؤانسة، أعتنى به وعلق عليه محمد الفاضلي، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
- التوحيدي، أبو حيان ومسكويه، الهوامل والشوامل، تقديم أ.د.صلاح رسلان، نشره أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، سلسلة الذخائر، ٦٨، ب ت.
- جاك شورن، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كمال يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ابريل، ١٩٨٤.
- جمعة،محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام –دراسة شاملة عن حياتهم واعمالهم ونقد آرائهم الفلسفية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- جيمس ب كارس، الموت والوجود دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي والعالمي، ترجمة بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، ٢٩-١٩٩٨.
- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، كتاب الطب الروحاني، ضمن كتاب رسائل فلسفية مضاف إليها قطعاً من كتبه المفقودة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣ ، ١٩٧٩.
- رجب عبدالله،د.إبراهيم – كاظم، م.م.وفاء، الموت والخوف منه عند فلاسفة اليونان والإسلام، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الرابع، المجلد الأول لسنة ٢٠٠٩.
- الشهرستاني، الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم المتوفى ٥٤٨هـ،الملل والنحل، صححه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٧، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- طاليس، أرسطو، المقالة الثانية من كتاب النفس، ضمن كتاب ارسطو طاليس في النفس، راجعها على اصولها اليونانية وشرجها وحققها وقدم لها عبد الرحمن بدوي، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤.

- الطوسي، الخواجة نصير الدين، أخلاق ناصري، ترجمه عن الفارسية ووضع الدراسات والتحليلات العلمية د.محمد صادق فضل الله، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
- عبد الخالق، د.أحمد محمد، قلق الموت، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١١١،مارس، ١٩٨٧.
- علي، الإمام، نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، د.صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- فخري، د. ماجد، تاريخ الفلسفة الإسلامية، نقله من الانجليزية إلى العربية د. كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤.
- فرّوخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام أبن خلدون،

دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٣.

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الوزير ٥٦٨هـ-٦٤٦هـ،تاريخ الحكماء (وهو مختصر الزوزني المسمى المنتجات الملتقطات من إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق يوليوس ليبرت، ترجم حواشيها ومقدماتها واضاف إليها د. محمد عوني عبد الرؤف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

-- كريفن، ديفد راي، الباراسايكلولوجي والفلسفة والروحانية، ترجمة كاظم سعد الدين، مراجعة د.الحارث عبد الحميد – واسيل عبدالرزاق، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢.

- الكندي، يعقوب بن اسحاق، رسالة الحيلة لدفع الأحزان، مخطوط أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢(ورقة ٢٣أ-٢٦ب) .الموقع الإلكتروني ،document http:w.w.w.scribd.com

- كنيدي،د.جون، القلق أسبابه وعلاجه، ترجمة واضافة أ.د.إبراهيم مهدي الشبلي، ط٣ مزيدة ومنقحة، ٢٠٠١-٢٠٠٢،دار الأمل للنشر والتوزيع الأردن .

- كيركجارد، سورين، المرض طريق الموات – عرض مسيحي نفسي للتنوير والبناء، ترجمة د.اسامه القفاش، نشر وتوزيع مكتبة دار الكلمة LOGOS،القاهرة، ط ١، ٢٠١٣

- مبروك، د.أمل، فلسفة الموت دراسة تحليلية، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١.

- ابن مسكوية أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ،تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق دراسة وتحقيق عماد الهلالي، مطبعة سليمان زاده، قم، الناشر طليعة النور ط١،١٤٢٦هـ.

- أبن مسكويه، أبو علي أحمد المتوفى سنة ٤٢١هـ، كتاب الفوز الأصغر، طبع على نفقة مصطفى فهمي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ.

-السعادة لأبن مسكويه في فلسفة الأخلاق، تقديم الأستاذ المطلع الشيخ السيد علي الطوبجي السيوطي، المطبعة العربية بمصر، المكتبة المحمودية التجارية،ط١٣٤٦،٢هـ-١٩٢٨م.

- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، الحكمة الخالدة (جاويدان خرد)حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢.

- هيدجر، مارتن، نداء الحقيقة، ترجمة وتقديم ودراسة د.عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧.

ثانياً :- الأجنبية

- Oliver Leaman، Ibn Miskawayh، Article in the book-History of Islamic philosophy، Edited by Seyyed Hossein Nasr and Oliver Leaman، bublisher، Ansariyan publication –New edition، Qum2008.

- T.J.Debore، The History of philosophy in Islam، Translated by Edward R.Jones-Cosmo publication –New Delhi.1933. p129.

Ibn Miskawayh›s Reasons for Fear of Death: A Philosophical Study

Assist. Prof. Ali Hadi Taher (PhD.)

University of Basra- College of Art- Department of philosophy

Abstract

Ibn Miskawayh did not completely reject the issue of fear of death, rather he refused over-fear thereof, which brings psychological and physical harm to the one who suffers from. He tried to show the most common causes of that fear which are adopted to justify it; those justifications are limited to five: some believe that the soul will be perished and decomposed with the decomposing of the body; some thought that death would inflict more pain than that inflicted by diseases; some people have fear of death because of their belief that they will be punished after death; some of them are puzzled over their unknown destiny after death; and the last category indexes those feel regret and sorrow over the money and worldly possessions they would leave behind after their death.

Miskawayh holds that all of these reasons are not acceptable justifications, describing them as fallacies, and arguing that these fears are the result of people›s ignorance of the reality of death, the truth of the soul as an immortal essence, the return after death and the other life, and most significantly, their ignorance of the mercy of the Almighty Allah; he stresses that it is necessary that science and knowledge are used to uproot people›s ignorance, highlighting the importance of philosophy and religious knowledge and their roles in liberating man from fear of death.

Keywords: fear, death, body, spirit, eternity.